الكشوف الجغرافية في العالم الجديد

العالم الجديد مصطلح أطلق على الأمريكتين وأستراليا وجزر المحيط الهادئ، إذ كان يعتقد، قبل رحلة كريستوفر كولومبس، أن العالم هو آسيا، وأوربا، وإفريقيا، والجزر المحيطة بهذه القارات.

ولعلنا لانكون مبالغين إذا قلنا أن اكتشاف العالم الجديد لم يكن هدفًا في حد ذاته، بل جاء عن طريق الصدفة البحتة -كما سنرى فيما بعد- إذ كان الهدف هو الوصول إلى جزر التوابل في أقصى الشرق!!

هل وصل العرب أمريكا قبل كولومبس؟

على الرغم من أن العرب ارتبطت حياتهم بالصحراء فترات طويلة من الزمن.. إلا أنه بعد أن أشرق الإسلام على أرضهم، جاءت انطلاقتهم العظيمة في شتى بقاع الدنيا، فساحوا في بلاد الله شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.. قطعت قوافلهم الصحراء، وخاضت سفنهم البحار، حاملين لواء هذا الدين.. وأصبحت المغامرة جزءًا من حياتهم، فبسطوا سلطانهم على مساحات كبيرة مما كان معلومًا من الأرض آنذاك!

ولكن، هل توجد أرض جديدة خلف هذه البحار الواسعة؟

إن كان هناك أرض فلابد من الوصول إليها وخوض غمار هذه البحار، وهذا ما جسَّده القائد عقبة بن نافع، عندما وقف بجيشه هناك في أقصى الغرب، على شاطئ المحيط الأطلسي ليقول: (والله لو عرفت أن وراء هذا البحر أرضًا لمضيت إليها)..

إن كلمة عقبة هذه تعبر أصدق تعبير عن مدى شغف العرب بالفتوحات مستهينين، في سبيلها، بكل الصعاب.

وهذا ما يؤكده (كراتشكوفسكي) في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب)، حيث يذكر أن عرب الأندلس، رغم خوفهم من المحيط الأطلسي الذي اقترن في أذهانهم ببحر الظلمات الرهيب، قد قاموا بمحاولات عديدة للكشف عنه.

د. عمر الدقاق: مغامرة العرب عبر بحر الظلمات، مجلة الفيصل، العدد 46.

قصة الفتية المغررين

يذكر الرحالة والجغرافي الشهير الشريف الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) قصة الفتية المغررين (أو المغرورين، أي المخاطرين، أو المغربين أي المتجهين إلى الغرب)، وقد علق عليها الأمير شكيب أرسلان في كتابه (الحلل السندسية) ، وخلاصة هذه القصة، أن جماعة من لشبونة (عاصمة البرتغال)، وهم ثمانية فتيان إخوة أو أبناء عم، أرادوا خوض بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ليعرفوا ما فيه، وإلى أين ينتهي.. فأنشأوا لهم مركبًا كبيرًا، وزوّدوه من الماء والزاد ما يكفيهم عدة أشهر، ثم خرجوا من ثغر لشبونة، وساروا إلى الغرب نحو أحد عشر يومًا، حتى وصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح، فأيقنوا بالهلاك، ثم اتجهوا ناحية

(1) د. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، إصدار شركة نوابغ الفكر، القاهرة.

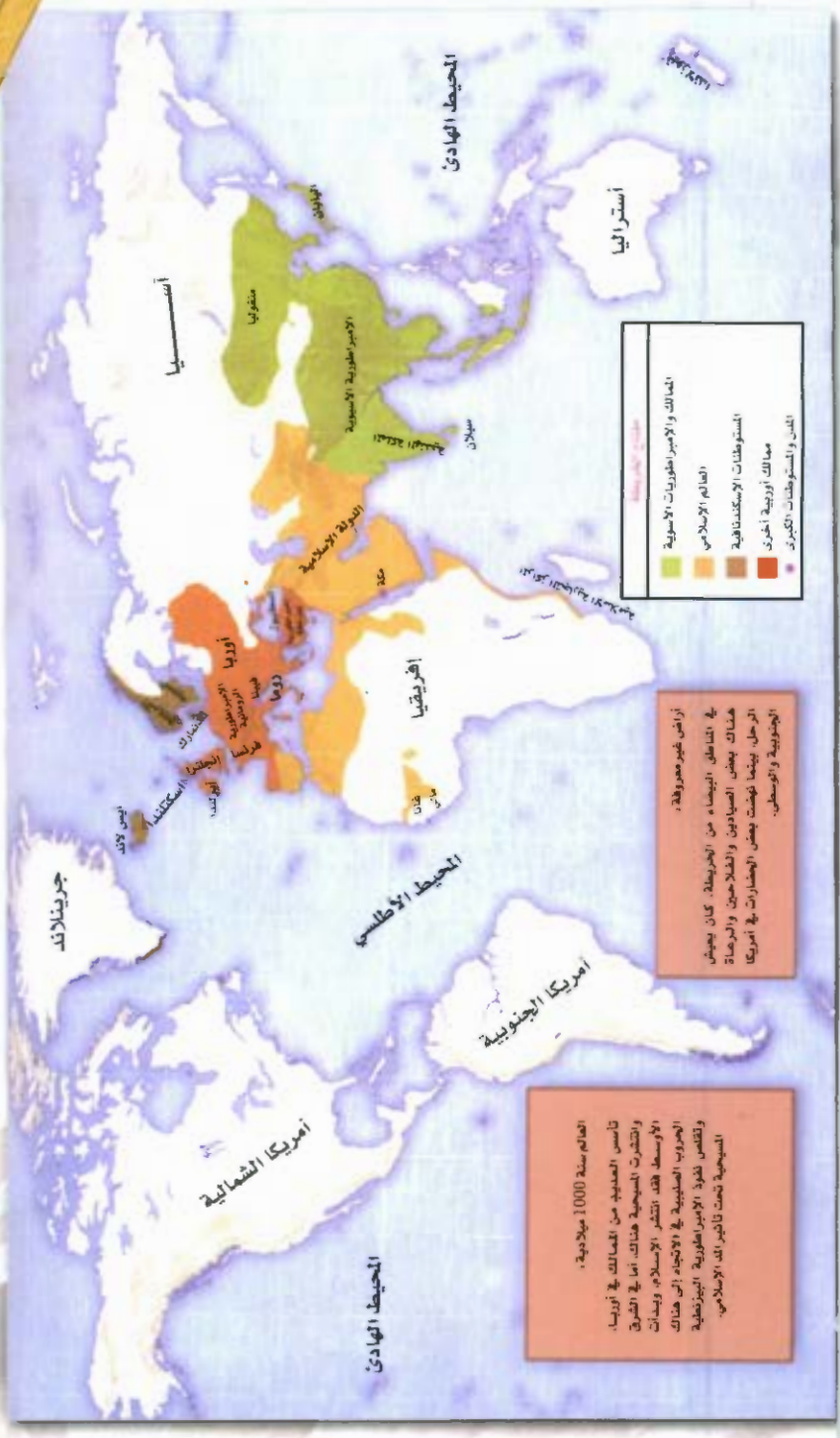

الجنوب حتى وصلوا إلى جزيرة فيها من الغنم ما لا يحصيه عد، وهي سارحة لا راعي لها. ثم أبحروا اثنى عشر يومًا جنوبًا حتى بلغوا جزيرة أخرى فيها عمارة وحرث، فقصدوها، فأسرهم أهلها، وكانوا طوال القامة ذوي بشرة حمراء، شعرهم قليل ناعم.. وظلوا في الأسر ثلاثة أيام، ثم أمر بهم حاكم تلك الجزيرة بترحيلهم إلى البر معصوبي العينين.

وهناك على البر، جاءهم قوم، علموا بعد ذلك أنهم من البربر، فسألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم، فقالوا لهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟

قالوا: لا نعلم.

قالوا: إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين.

فقال زعيم القوم: واأسفي!!

فسمى المكان إلى اليوم (أسفي) [1].

يرى بعض الباحثين الغربيين الذين أولوا هذه القصة اهتمامًا خاصًا، أن هؤلاء الفتية وصلوا أولًا إلى جزر أزور Azores، الواقعة في المحيط الأطلسي على بعد نحو 1200 كيلومتر غربي العاصمة البرتغالية لشبونة.. ولما اتجه الفتية نحو الجنوب وساروا اثنى عشر يومًا فمن المحتمل أن يكونوا قد وصلوا إلى جزر الخالدات (جزر الكناري) وهي مجموعة جزر تقع في المحيط الأطلسي قبالة الساحل المغربي..

(1) أسفي ميناء مغربي على شاطئ المحيط الأطلسي.

ويبقى السؤال..

هل اكتشف العرب أمريكا قبل كولومبس؟

يؤكد الباحث الأمريكي (فان سيرتيما) أستاذ الدراسات الإفريقية في جامعة روتجرز الأمريكية في كتابه (لقد جاءوا لأمريكا قبل كولومبس) أن المسلمين الأفارقة سبقوا كولومبس في اكتشاف أمريكا بزمن طويل [2].. وقد دعَّم سيرتيما رأيه بوثائق تاريخية تؤكد أن مجموعة مغامرة برئاسة أحد سلاطين مملكة مالي الإسلامية، استطاعت الوصول إلى سواحل أمريكا عام 1300م، أي قبل وصول كولومبس بنحو مائتي سنة!!

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع التاريخي، فقد أثير في مناسبات عديدة، فقد تناوله الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على قصة وردت في كتاب (مسالك الأمصار) من أن منسي بن موسى أحد سلاطين مملكة مالي، روى لبعض خلصائه أن السلطان الذي كان قبله، كان يظن أن البحر غاية لا تدرك، فجهز السفن وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهاية بحر الظلمات (المحيط الأطلسي).. فغابوا مدة طويلة، ولم يرجع منهم سوى سفينة واحدة، وأخبر قائدها السلطان أن البحر ابتلع بقية السفن..

لم يصدق السلطان هذه الرواية، فهجز ألفي سفينة، ألفًا للرجال وألفًا للأزواد، واستخلفني

(2) تيسير ظبيان، مجلة العربي الكويتية العدد 223، يونيو 1977.

على الملك، وسار بنفسه ليعلم الحقيقة، فكان آخر العهد به وبمن معه!!

أورد الأمير شكيب أرسلان هذه القصة في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) وعقب عليها بقوله:

(إن صحت هذه الرواية، ولا يوجد دليل على كذبها، فيكون المسلمون قد حاولوا اكتشاف القارة الجديدة مرتين.. الأولى: عندما أبحر الإخوة المغرورون من لشبونة عاصمة البرتغال متوغلين في المحيط الأطلسي.. والثانية على يد هذا الملك الذي حاول الأمر مرتين وذهب في سبيله شهيدًا).

كما تناول شيخ العروبة، أحمد زكي باشا، هذا الموضوع في مقال بمجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق، ذكر فيه أن العرب سبقوا الأوربيين إلى التفكير في كشف أمريكا، وحاولوا الوصول إليها مرتين، الأولى من لشبونة، والأخرى من غانة في السودان الغربي على ساحل المحيط الأطلسي، وكان تخيلهم لها بطريقة منطقية عقلية، هي أفضل من التي اتبعها (كولومبس)، فإنه لم يكتشفها إلا بطريق الصدفة.

رأى علماء الغرب:

أيد بعض علماء الغرب وجهة النظر العربية القائلة بأن العرب والمسلمين الأفارقة قد سبقوا (كولومبس) في اكتشاف الأمريكتين. ففي عام 1954 نشرت الصحف الأمريكية محاضرة للدكتور (جيفري) الأستاذ المحاضر بجامعة (أوتو)، ذكر فيها أن الرحالة العرب هم الذين اكتشفوا القارة الأمريكية قبل أن يبلغ كولومبس سواحلها بنحو خمسمائة سنة.. وقد بنى (جيفري) أقواله على أن العرب كانوا في القرن العاشر يسيطرون على البحر المتوسط، وبلغوا السواحل الغربية لإفريقيا، وأنهم توغلوا في المحيط الأطلسي.

ونشرت مجلة (نيوزويك) مقالًا للدكتور (هوي لين لي)، الأستاذ في جامعة هارفرد، وهو من أصل صيني، أكد فيه أن البحارة العرب اجتازوا المحيط الأطلسي قبل كولومبس بنحو قرنين أو ثلاثة.. وأعلن (لي) نظريته هذه في المؤتمر الحادي والسبعين بعد المائة للجمعية الشرقية الأمريكية، التي تضم عددًا من أساتذة الدراسات، وأكد أن الملاحين العرب قاموا قبل عام 1100 من الطرف الغربي من القارة الإفريقية، ومن الدار البيضاء، ورسوا بسفنهم في عدة أماكن على طول الساحل الشمالي الأمريكي.

كما شارك المؤرخ الألماني (هيلد فينزلر) في بحث هذا الموضوع، ونشر مقالًا في مجلة (الجرمان زايتونج) قال فيه: إن العرب بعد أن تغلغلوا في إفريقيا الغربية، وفي إسبانيا، جهزوا كثيرًا من الحملات البحرية وأرسلوها إلى الغرب، كالبعثة البحرية التي ذكر الرحالة الإدريسي خبرها، وقال إنها جهزت في لشبونة نفسها، وأرسلت لاكتشاف بلاد جديدة في الغرب.

كما يستند الدارسون في ذلك إلى العديد من الأدلة والقرائن، أهمها:

- وجود كلمات وألفاظ عربية قديمة بين اللغات التي ينطق بها بعض القبائل، وقد ذكر بعض المؤرخين أن من هذه الكلمات ما يرجع تاريخه إلى عام 1290م، أي قبل وصول كولومبس بنحو 200 عام.
- العثور على نباتات يعتقد أنها نقلت من القارة الإفريقية، كما أكد الدكتور (هوي لين لي)، من هذه النباتات: الباباي، والجوافة، والأناناس، حيث حملها البحارة العرب وزرعوها في تلك القارة.

- العثور على جماجم بشرية إفريقية في كهوف الباهاما في خليج المكسيك.

العرب يتخيلون العالم الجديد قبل اكتشافه:

في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) يذكر ابن فضل الله العمري عن شيخه أبي الثناء الأصفهاني، الذي عاش في القرن السابع الهجري، أنه تكهن بوجود قارة جديدة قبل اكتشاف كولومبس بمئات السنين، فقد قال بالحرف الواحد: (لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا، منكشفًا من الجهة الأخرى، وإذ لم أمنع أن يكون منكشفًا من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوانات والنبات والمعادن مثل ما عندنا، أو من أنواع وأجناس أخرى).

وقد علق العلامة أحمد زكي باشا على هذا القول بقوله: (للأصفهاني، وهو بمصر، فضل السبق على كريستوفر كولومبس، وهو بالأندلس، لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن).

ثم قال: (وللأصفهاني فضل أكبر على مكتشف أمريكا، لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال، أما كولومبس فتخيل فقط وجود طريق يوصل للهند من جهة الغرب!!).

الفيكنج يكتشفون أمريكا قبل كولومبس:

الفيكنج The Viking شعوب بحرية، عاشت في شمال أوربا، فيما يعرف الآن بالدول الإسكندنافية.

عُرف الفيكنج بقراصنة، أو غزاة، الشمال، إذ كانوا قد نشروا الرعب في أوربا فيما بين القرنين الثامن والثاني عشر.. وفي أثناء ذلك كانوا قد نهبوا أجزاء من إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وروسيا، وإسبانيا.. إذ أغاروا عليها، وأقاموا هناك العديد من المراكز والطرق التجارية، وكانت سفنهم تحمل المستوطنين إلى جرينلاند وأيسلندا.

ومن المرجح أن (ليف أركسون) وهو مستكشف من الفيكنج قد هبط في أمريكا الشمالية قبل أن يصلها كولومبس بنحو 500 عام!!.

ويذكر بعض المؤرخين أن الفيكنج ضلوا الطريق في بعض رحلاتهم إلى جرينلاند، ورأوا أرضًا تقع غربي جرينلاند، فاتجهوا إليها واستقروا بها.

ولكن، هل يعني هذا أن تلك الأرض هي أمريكا.. وأن الفيكنج هم مكتشفوها؟

يرى بعض الباحثين أن تلك المنطقة التي نزل بها الفيكنج هي جزيرة نيوفوندلاند بكندا، حيث عثر على آثار قرية هناك أنشئت عام 1000، ولم تستمر طويلًا، وكانت تتكون من خمسة منازل، وأن تلك الآثار يرجع تاريخها إلى الفيكنج.

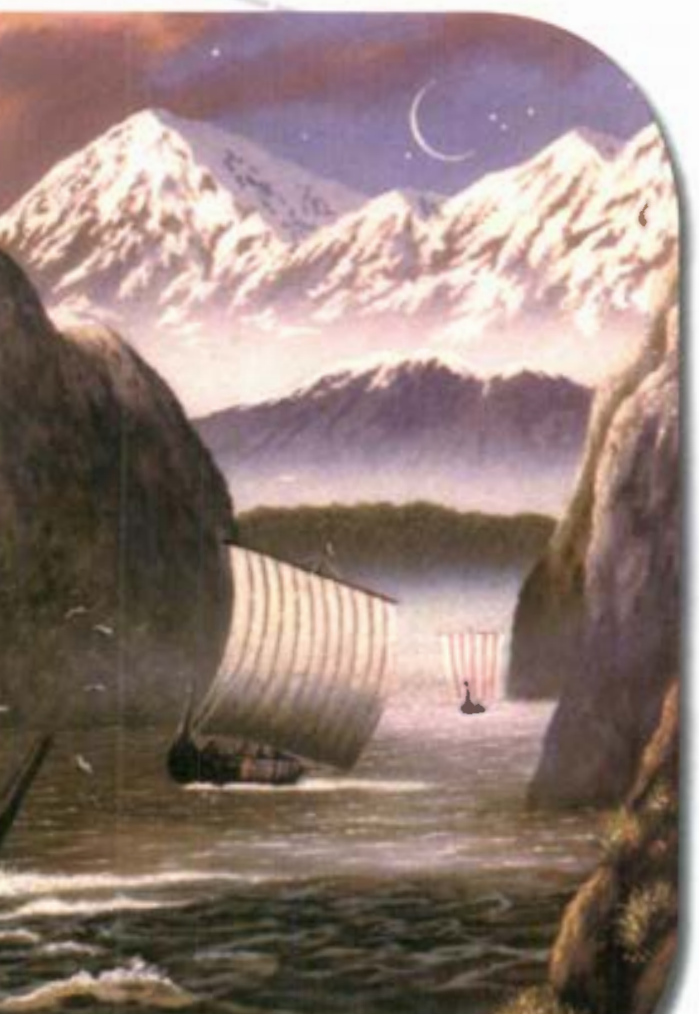

△ رحلات الفايكنج (790-1100)

رحلات كريستوفر كولومبس:

كريستوفر كولومبس (1451 – 1506) Christopher Columbus رحالة إيطالي شهير، يرجع إليه الفضل في اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، على الرغم من أنه مات ولم يعلم تلك الحقيقة!!

وُلد كولومبس في جنوا بإيطاليا، وكان والده يعمل نساجًا، وعلى الرغم من أنه لم يحصل على قسط وافر من التعليم، إلا أنه كان لديه خبرة كبيرة بالبحار والسفر فيها..

في عام 1470 ركب البحر، فكسرت سفينته عند الطرف الجنوبي الغربي للبرتغال، فركب لوحًا من الخشب حتى بلغ البر، وأقام في لشبونة فترة من الزمن.. تزوج كولومبس من ابنة رجل إيطالي كان عاملاً من قبل ملك البرتغال على جزيرة بورتو سانتو قرب جزر ماديرا، وأقام بتلك الجزيرة يعمل رسام خرائط للبحارة، مما أعطاه خبرة واسعة في هذا المجال، وعلم أن هناك حزءًا كبيرًا من الأرض لم يزل مجهولاً.

▽ نموذج للسفن التي استخدمها الفايكنج في غاراتهم وغزواتهم.

كان كولومبس يعتقد- كما يعتقد كثير من الأوربيين- أنه يمكن الوصول إلى الطرف الشرقي من آسيا بالإبحار باتجاه الغرب.. وأراد أن يثبت ذلك عمليًا مستعينًا بخرائط الإيطالي باولو توسكانيلي، والألماني مارتن بيكهام، إلا أنه كان يحتاج إلى تمويل كبير.

عرض كولومبس فكرته على مجلس الشيوخ في جنوه، مسقط رأسه، إلا أن عرضه قوبل بالرفض، مما جعله يلجأ بعرضه إلى يوحنا السابع ملك إنجلترا، إلا أن عرضه أيضًا قوبل بالرفض.

لجأ كولومبس بعد ذلك إلى يوحنا الثاني ملك البرتغال، لعله يتبنى فكرته، ويقوم بتمويل رحلته.. وكتب إليه رسالة جاء فيها: (أنا أعرف أن وجود مثل هذا الطريق، هو برهان حقيقي على كروية الأرض، ولسهولة برهان هذه النظرية قررت افتتاح هذا الطريق البحري الجديد، وسأرسل إلى جلالتك الخريطة من اكتشافي الخاص، وسيكون موضح عليها جهة الإبحار نحو الغرب، والأماكن التي سأكتشفها في أثناء الرحلة، وأيضًا أبعد نقطة يمكن الوصول إليها، والبلدان التي قد تحصدون منها الكنوز، فإن بلاد الغرب بلاد الكنوز).

أحال الملك طلب كولومبس إلى لجنة من الخبراء فرفضته.

لم ييأس كولومبس من طرق جميع الأبواب في سبيل تحقيق هدفه.. فلجأ إلى إسبانيا، إلا أنه لم يجد، في البداية، من يعيره اهتمامًا.. وأخيرًا تمكن من إقناع الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة وزوجها الملك فرديناند بتبني الفكرة، والإنفاق على رحلاته، وإمداده بالسفن والرجال والمال.. وبعد الاتفاق اشترط كولومبس لنفسه أن يمنح لقب أمير البحر، وأن يصير واليًا على كل البلدان التي يكتشفها، وأن يأخذ عُشر ما يرد من تلك البلدان من التجارة والغنائم والذهب وما شابه ذلك.

وبدأت رحلات كولومبس..

الرحالة كريستوفر كولومبس

ولكن.. لماذا كانت رحلات كولومبس الكشفية أشهر وأهم الرحلات في التاريخ؟

لعل ذلك يرجع إلى أسباب أهمها:

- أنها كانت أطول الرحلات، وأكثرها جرأة وشجاعة.
- أنها أضافت إلى خريطة العالم عالمًا آخر لم يكن معروفًا من قبل على وجه الدقة.

الرحلة الأولى (1492 - 1493):

في يوم الجمعة الثالث من أغسطس عام 1492 بدأ كولومبس رحلته الأولى، من ميناء (بالوس)، حيث أبحر بثلاث سفن هي: (سنتا ماريا) وكانت تحت إمرته.. و(بينتا) وكانت تحت إمرة مارتن ألونسو بينسون، و(نينيا) وكانت تحت إمرة فنسنت يانيس بينسون.. وهي سفن شراعية تعتمد في سيرها على قوة الرياح واتجاهها، وكانت تحمل جميعها 120 رجلًا.

اتجهت السفن نحو جزر الكناري، وهناك حدث عطل بدفة السفينة (بينتا)، وتم إصلاحه.. في السادس من سبتمبر عاود كولومبس الإبحار، واستمرت الرحلة هادئة، ولم يعكر صفوها شيء سوى طول المدة التي قضاها البحارة في عرض البحر دون أن يروا أرضًا، مما أدى إلى تزمرهم وتمردهم، وطالبوا كولومبس بالعودة، فوعدهم بذلك إن لم يروا أرضًا خلال يومين.

عندما وصل كولومبس الى كوبا، كان معتقدًا انه في جنوب شرق آسيا.. وهناك اكل انواعًا من الأطعمة لم يكن يعرفها من قبل، مثل: الأناناس، والبطاطا الحلوة.

خريطة رسمها خوان دي لاكوسا، أحد رجال كولمبس في رحلته الثالثة عام 1500.

جزيرة هيسبانيولا التي وصلها كولمبس في إحدى رحلاته، وعليها نشبت معركة بين رجاله وسكان الجزيرة الأصليين (الهنود الحمر).

في 11 أكتوبر رأوا قطعا من الخشب وبقايا بعض النباتات، فعلموا أنهم على مقربة من اليابسة.. وفي اليوم التالي 12 أكتوبر هبط كولومبس ورجاله على إحدى جزر الباهاما (جزيرة سان سلفادور).. كان كولومبس يرتدي حلة فاخرة، حاملا العلم الأسباني، وكانوا بذلك أول من يطأ تلك الأرض من الأوربيين. لاحظ كولومبس وجود العديد من الجزر المتقاربة، وأن سكان تلك الجزر أناس طيبون أحسنوا استقباله ورجاله.. بعد 15 يومًا وصل كولومبس جزيرة كوبا.. وهناك تأكد أنه الآن في جزر شرق آسيا.. ولكن أين الحرير والمعابد المزخرفة بالذهب التي وصفها ماركو بولو في تلك الجزر؟!

بعد ذلك وصل كولومبس جزيرة هيسبانيولا (وعليها يقع الآن كل من هايتي وجمهورية الدومينكان)، وهناك اصطدمت سفينة القيادة (سنتا ماريا) بالساحل، فتهشمت، فاستخدم كولومبس حطامها في إقامة أول مستعمرة أوربية في البحر الكاريبي، وترك بها 43 من رجاله.

في 16 من يناير 1493 بدأ كولومبس رحلة العودة إلى بلاده

السفينة سانتا مارينا التي كان يقودها كولومبس. وقد غطى الصليب ساريها، إعلانًا لهدف الرحلة.. إنه بالإضافة إلى اكتشاف أرض جديدة، نشر الكاثوليكية والتبشير بها بين السكان.

بالسفينتين (بينتا) و(نينيا)، حاملًا معه بعض الهدايا التي جلبها من جزر الهند الشرقية (كما يعتقد)، ومصطحبًا 9 من سكان تلك الجزر.

وصل كولومبس لشبونة في 4 مارس، ثم غادرها ليلاقي الملكة إيزابيلا والملك فرديناند في برشلونة، حيث قدم لهما تقريرًا عن رحلته، وتلك الجزر الغنية بالتوابل والذهب والقطن، والنباتات والطيور النادرة.. وعن سكانها الطيبين الذين يمكن تحويلهم إلى المسيحية بسهولة. سُرَّ الملك والملكة بما قام به كولومبس، ومنحاه العديد من الأوسمة والمزايا الخاصة.

الرحلة الثانية 1493 - 1496:

في 25 سبتمبر 1493 أقلع كولومبس من إسبانيا بأسطول يتكون من 17 سفينة على متنها 1500 بحار، ومعهم من الزاد ما يكفيهم لمدة ستة أشهر.. كان كولومبس يهدف إلى الكشف عن المزيد من الجزر والوصول إلى الصين ومقابلة الخان الأعظم!!

بعد رحلة استغرقت 21 يومًا، وصل كولومبس إلى أقصى شرق الكاريبي، حيث جزر الأنتيل الصغرى، ونزل بإحدى تلك الجزر، وأطلق عليها اسم (دومنيكا)، ويعني بالإيطالية: الأحد، إذ وصلها كولومبس ورجاله في يوم الأحد..

توجه كولومبس بعد ذلك نحو هايتي، حيث كان قد أنشأ فيها مستعمرة خلال رحلته الأولى، وترك بها 43 من رجاله.. فوجد المستعمرة قد دمرت، وقتل رجاله فيها، فعزم على إقامة مستعمرة أخرى.

كل هذا، ولا يزال كولومبس مقتنعًا بأنه قد اكتشف طريقًا إلى الهند وشرق آسيا!!

كثف كولومبس جهوده في محاولة للوصول إلى أراضي الصين، فاتجه غربًا حتى نزل في جزيرة جامايكا في مايو 1494.

طالت الرحلة هذه المرة، ورأى كولومبس أنه من الأفضل العودة إلى بلاده.. وبالفعل وصل إسبانيا في 11 مارس 1496، وأحسن الملك والملكة استقباله، وأقنعهما بضرورة تزويده بأسطول ثالث ليعاود الإبحار، فقد أوشك على الوصول إلى الصين!!

الرحلة الثالثة 1498 - 1500:

كانت الملكة إيزابيلا من أشد المتحمسين لتجهيز كولومبس للقيام برحلته الثالثة.. وبالفعل أبحر في 30 مايو 1498 بأسطول يتكون من 6 سفن، حتى وصل جزيرة ترينداد.. وفي اليوم الأول من شهر أغسطس رأى طرف البر من قارة أمريكا الجنوبية، فظنه جزيرة، وأخذ يبحر باتجاه الغرب ليصل إلى تلك الجزيرة، وكلما اقترب منها يرى قممًا مرتفعة من اليابسة، فيظنها جزرًا، حتى وصل إلى مصب نهر أورينكو (يجري بفنزويلا ويصب في المحيط الأطلسي)، وظن أنه مجرد مجرى مائي في جزيرة من الجزر، إلا أنه بعد أن توغل فيه بالداخل قليلًا، ورأى سرعة المياه وقوة دفعها، تأكد أن تلك اليابسة لا يمكن أن تكون جزيرة، بل لابد وأن تكون قارة كبيرة..

ولكن هل غيَّر ذلك فيما اقتنع به كولومبس؟

لم يحدث أي تغيير في فكر كولومبس، فهو لا يزال يصر على أنه على مقربة من الصين واليابان!

لم يستطع كولومبس التوغل داخل القارة كثيرًا بسبب تمرد بحارته عليه، وكذا بسبب انشغاله على أحوال المستعمرات التي أقامها في الجزر التي اكتشفها.. فقرر العودة إلى بلاده، مرورًا بتلك المستعمرات..

الرحلة الرابعة 1502-1504:

مكث كولومبس في إسبانيا بعد رحلته الثالثة فترة من الزمن، إلا أن نفسه لم تكن ترضى بالراحة.. فأبحر في التاسع من شهر مايو عام 1502 من إسبانيا في أسطول يتكون من 4 سفن، على متنها 150 بحارًا، قاصدًا جزر الكاريبي، التي كان يظنها إلى الآن جزر التوابل في شرق آسيا.

في 13 يونيو اكتشف كولومبس جزيرة مارتنيك Martinique وحين نزل بها وصفها بأنها أجمل بلاد الدنيا.. تعرض كولومبس بعد ذلك إلى عواصف شديدة، اضطرته للجوء إلى هايتي، إلا أن واليها منعه من النزول فيها.. واصل كولومبس إبحاره باتجاه الغرب حتى وصل إلى أمريكا الوسطى، ونزل في هندوراس، ثم اتجه جنوبًا حتى وصل نيكاراجوا، ثم كوستاريكا، وبنما، وكان يقيم المستعمرات هناك، بعد أن وجد تلك المناطق غنية بالذهب.

عاد كولومبس إلى إسبانيا عن طريق كوبا ثم جامايكا، ليصل إسبانيا في 7 سبتمبر 1504.. وكانت تلك آخر اكتشافاته.

وفاة كولومبس:

توفى كولومبس في 20 مايو عام 1506، ودُفن في إسبانيا أولًا، ثم نقل إلى هايتي ودفن في كنيستها، وبعد أن خضعت هايتي للاستعمار الفرنسي عام 1697 نقلت رفات كولومبس إلى هافانا في كوبا.. وإن كان بعض المؤرخين يؤكدون أن رفات كولومبس لا تزال في هايتي، وإنما الذي تم نقله هو رفات ابنه.

مات كولومبس دون أن يعلم أنه اكتشف القارتين الأمريكيتين.. وأنه أضاف إلى خريطة العالم عالمًا جديدًا.. مات مصرًا على أنه وصل إلى جزر الهند الشرقية، بلاد التوابل والطيوب!!

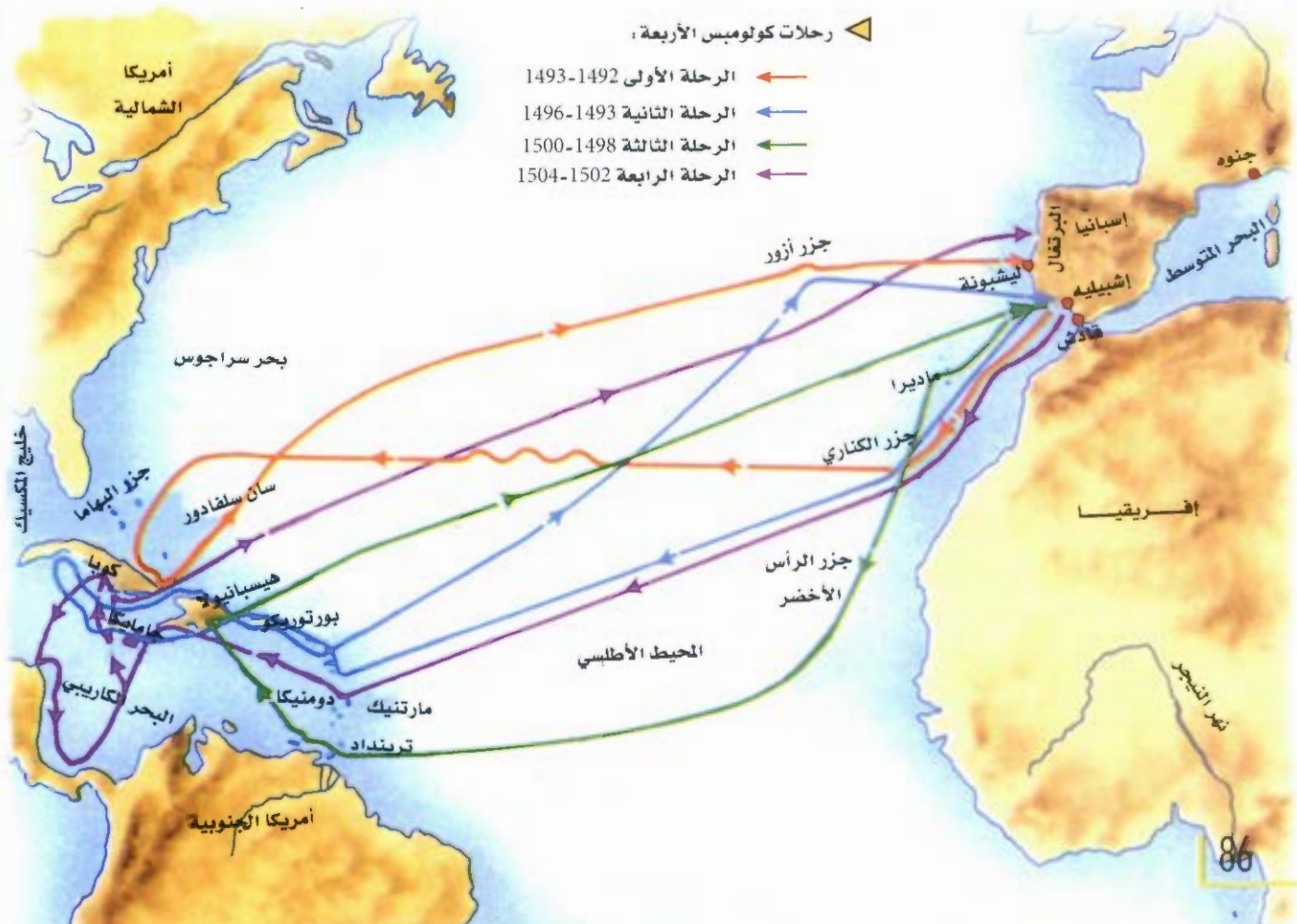

كولومبس ومثلث برمودا:

يعتبر كولومبس وبحارته أول من رصد الظواهر الغريبة فيما عرف بمثلث برمودا، وذلك في أثناء إبحارهم في البحر الكاريبي في طريقه إلى البر الأمريكي، فقد شاهد تشكيلًا ضبابيًا كثيفًا، ثم رأوا نيزكًا يسقط وسطها ويرفع الماء فوقهم لمسافات عالية.. كما توقفت البوصلة عن الحركة تمامًا!!

وصل كولومبس إلى بحر سارجاسو، في شمال غرب المحيط الأطلسي، فوجد نوعًا من حامول البحر يسمى (سارجاسام) يغطي مياه البحر (ولذا سمي البحر بهذا الاسم).. ظن كولومبس أنه أوشك على الوصول إلى البر، مما جعله يواصل الإبحار.

وبحر سارجاسو هادئ جدًا، فهو بحر ميت ليس به حركة، حيث تندر التيارات الهوائية والرياح، وقد أطلق عليه (بحر الرعب) أو (مقبرة الأطلسي)، حيث يرقد في أعماقه العديد من القوارب والسفن المحطمة.. والكثير من الهياكل العظمية لبحارة لاقوا حتفهم في تلك المنطقة!!

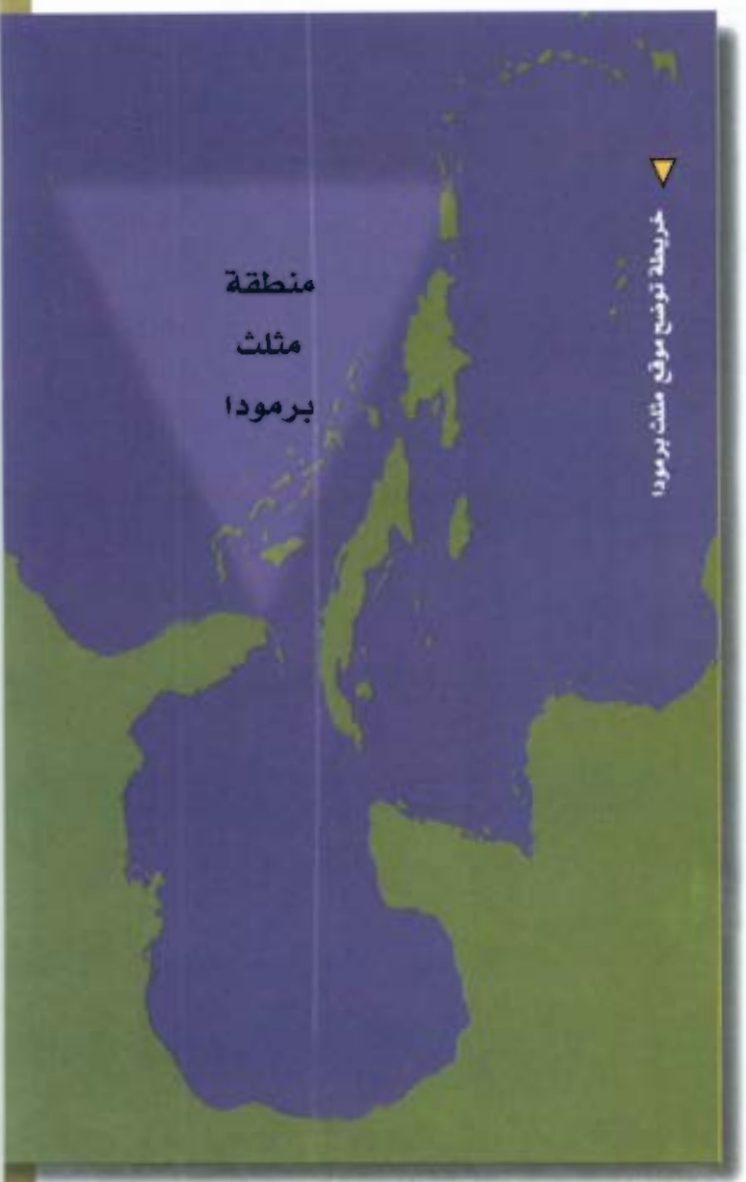

رحلات جون كابوت (1450-1498)

هو أول من قام برحلة بحرية من إنجلترا إلى أمريكا الشمالية (كندا)، مكنت إنجلترا من وضع يدها على تلك المنطقة من العالم الجديد.. كان ذلك عام 1497.

ولد جون كابوت John Cabot في جنوا بإيطاليا، ورحل في صباه مع والده إلى البندقية، وعمل بالتجارة وتصميم الخرائط..

أبحر (كابوت) كثيرًا في البحر المتوسط بين البندقية ومصر للتجارة في البهارات القادمة من الشرق الأقصى.

انتقل كابوت للعيش في بريستول بإنجلترا أواخر القرن الخامس عشر، في الوقت الذي كان يقوم فيه كولومبس برحلاته إلى أمريكا.

كان كولومبس يهدف من رحلاته إلى الوصول إلى جزر التوابل في شرق آسيا، ورأى (كابوت)

أنه يمكن الوصول إليها بطريق أقصر من تلك التي وصل بها كولومبس.

في عام 1496 منح هنري السابع، ملك إنجلترا، الإذن لكابوت بالإبحار في خدمة إنجلترا.. وقام التجار في بريستول بتمويل الرحلة.

في مايو من عام 1497 أقلع كابوت من بريستول باتجاه الغرب في سفينة صغيرة تدعى (ماثيو) Matthew وبصحبته 18 بحارًا.. وفي 24 يونيو شاهد البر.. ظن (كابوت) أنه وصل إلى آسيا، إلا أنه لم يجد الثروات والبهارات التي جاء من أجلها، بل وجد مناطق غنية بالأسماك المختلفة.. وفي الحقيقة أنه كان قد وصل إلى جزيرة نيوفوندلاند Newfound land أو نوفاسكوتيا Nova Scotia في كندا، ولذا يعرف كابوت بأنه مكتشف كندا.. واستولى على تلك المناطق لصالح إنجلترا..

في أغسطس من عام 1497 عاد (كابوت) إلى إنجلترا، وأعلن أنه وصل إلى آسيا.. وقوبل هناك مقابلة عظيمة، ومنحه الملك العديد من المزايا والجوائز.

في العام التالي(1498) قام كابوت برحلته

△ رحلتا جون كابوت من بريستول بإنجلترا إلى كندا.

الثانية، وأبحر من بريستول في خمس سفن، عاقدًا العزم على المزيد من الاكتشافات في المنطقة التي سبق وأن وصل إليها..

واجه كابوت وبحارته في هذه الرحلة عواصف عاتية، أجبرت إحدى سفنه على العودة إلى إنجلترا.. أما هو والسفن الأربع الباقية فلا أحد يدري ما حدث لهم!!

يعتقد معظم المؤرخين أن كابوت مات في البحر، وهناك من يرى أنه عاد إلى إنجلترا ومات بها عام 1499.

كان لكابوت ابن يدعى سباستيان كابوت Sebastian Cabot، كان قد سافر معه في رحلته الأولى.

وعمل سباستيان في بداية حياته، مثل أبيه، بحارًا ورسامًا للخرائط.

في عام 1508 أبحر سباستيان كابوت من إنجلترا إلى أمريكا الشمالية.. ووصل إلى مدخل مضيق هدسون Hudson بكندا، ثم أبحر باتجاه الجنوب على طول الساحل الأمريكي وعاد مرة ثانية إلى إنجلترا.

في عام 1526 أبحر سباستيان كابوت من إسبانيا بأربع سفن، على أمل أن يعود محملاً بالبهارات والطيوب، شجعه على ذلك ما عادت به السفن المتبقية من رحلة ماجلان، كما سنرى، إلا أنه اكتشف الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية، وأراضيها الداخلية، وعاد سباستيان إلى إسبانيا عام 1530.

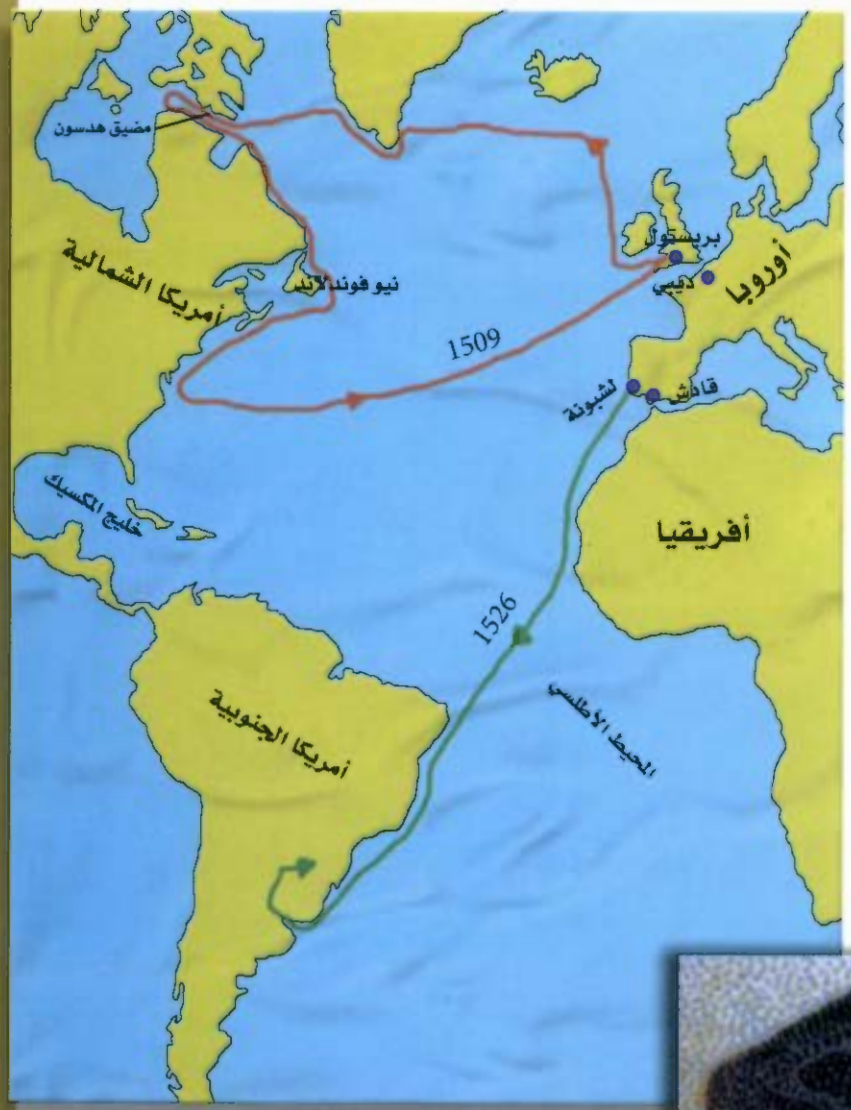

△ رحلات سباستيان كابوت من بريطانيا وإسبانيا إلى العالم الجديد.

▷ سبستيان كابوت. عمل في خدمة كل من بريطانيا وإسبانيا، ووصل إلى سواحل كل من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية

رحلات جيوفاني دافيرازانو (1485-1528)،

أول من ساعد على إقامة مستوطنة فرنسية على أرض أمريكا الشمالية:

جيوفاني دا فيرازانو Giovanni da Verrazano ملاح وبحار إيطالي، خدم في البلاط الملكي الفرنسي، اكتشف الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الشمالية من كيب فير Cape Fear بولاية كارولينا الشمالية إلى ولاية ماين Maine، لحساب التاج الفرنسي.

ينتمي (فيرازانو) إلى أسرة أرستقراطية ذات منزلة رفيعة في جنوب فرنسا، وعلى الرغم من ثرائه، وتعليمه الراقي، إلا أنه رحل إلى ديبي Dieppe في فرنسا عام 1506.

كان (فيرازانو) قد شارك في العديد من الرحلات التجارية البحرية قبل أن يلتحق بالخدمة الملكية، حيث أصبح قائدًا لسفينة حربية تعمل على تأمين التجارة الفرنسية في البحر المتوسط.

في ذلك الوقت، كانت فرنسا في حالة حرب مع إسبانيا، وتمكن (فيرازانو) من إظهار براعته البحرية في الاستيلاء على العديد من السفن الإسبانية المحملة بالغنائم.

في عام 1524 فوض فرانسيس الأول Francis I، ملك فرنسا، فيرازانو في استكشاف أمريكا، واختيار منطقة مناسبة لإقامة مستوطنة فرنسية عليها، ومحاولة البحث عن ممر شمالي غربي إلى الإندنيز بعيدًا عن المناطق التي يستولي عليها البرتغاليون والإسبان.

في يناير 1525 أبحر (فيرازانو) في أربع سفن، مصطحبًا معه أخاه مصمم الخرائط جيرولومو Girolomo.. فُقدت سفينتان في أثناء عبور الأطلسي، ورست السفينتان الباقيتان عند ما يعرف الآن بكيب فير Cape Fear في كارولينا الشمالية.

أبحر فيرازانو، باتجاه الشمال للبحث عن مرسي (مرفأ) مناسب حتى وصل إلى ميناء شارلستون Charleston ثم وصل خليج Chesapeake في فرجينيا، فظنه مدخل الممر المائي المؤدي إلى المحيط الهادئ، وأطلق عليه اسم بحر فيرازانو Verrazano Sea، في الخريطة التي رسمها أخوه جيرولومو.

استمر فيرازانو في الإبحار شمالاً بحثًا عن موقع مناسب لإقامة المستعمرة الفرنسية.. مَرّ بسواحل دلاوار Delaware ونيو جرسي New Jersey حتى وصل إلى منطقة مناسبة تحيط بها بحيرة طويلة، وأطلق على هذه المنطقة اسم فرانسيسكا Francesca، تكريمًا للملك فرانسيس الأول.

جيوفاني دا فيرازانو، أول من ساعد على إقامة مستعمرة فرنسية في أمريكا الشمالية. ◁

في 17 أبريل 1525 رسى في ممر مائي (قناة) أطلق عليه اسم مضيق فيرازانو Verrazano Narrow، وهو ما يعرف الآن بميناء نيويورك، وأطلق على الخليج شمالي الميناء اسم سانتا مارجريتا Santa Margarita.

تابع فيرازانو سيره من فرانسيسكا باتجاه الشمال، متفحصًا كل خليج أو ممر مائي يصادفه، حتى ألجأته عاصفة قوية إلى خليج ناراجانست Narragansett، وهناك استقبله السكان (الهنود) بحفاوة بالغة، وأرشده إلى مرفأ آمن، وهو ما يعرف الآن باسم (نيو بورت Newport) في جزيرة رود Rhode (رودأيلاند)، حيث مكث هناك أسبوعين، ومن هناك أرسل رجاله في حملات استكشافية للمناطق الداخلية، وجمع منها الماء والزاد، وقد أكدت هذه الحملات على خصوبة التربة في تلك المناطق، وغناها بالأشجار والقرى التي يسكنها الهنود.

في 5 مايو، غادر فيرازانو الخليج، واستمر في الإبحار شمالاً حتى مرَّ بما يعرف الأن بمضيق Nantuket Sound، ثم دار حول Cape Cod، حتى وصل ماين Maine عند خليج كاسكو Casco.. واستمر في الإبحار شمالاً حول نوفا سكوتيا Nova Scotia، ونيوفاوندلاند، وهما من المناطق المعروفة للصيادين الأوربيين، خصوصًا سفن الصيد القادمة من إقليم الباسك شمالي إسبانيا.

ومن هناك عاد فيرازانو عبر الأطلسي ليصل إلى ديبي Dieppe في فرنسا في يوليو 1525.

في نفس العام هُزمت فرنسا في معركة بافيا Pavia، ووقعت اضطرابات هناك، وأسر الإسبان الملك فرانسيس الأول في ساحة المعركة، وكان على (فيرازانو) أن ينتظر حتى يتم إطلاق سراح الملك للحصول على موافقة بالإبحار في رحلة ثانية.

أبحر فيرازانو حتى بلغ فلوريدا، ثم توجه نحو سلسلة جزر ليوارد Leeward، ورسا البحارة على ما يعرف الآن بجزيرة جواديلوب Guadeloupe (في البحر الكاريبي وتتبع فرنسا).. أما فيرازانو فقد أبحر مع مجموعة ممن معه، حيث هاجمهم مجموعة ممن عرفوا بأكلة لحوم البشر، وقتلوهم!!

△ رحلات جيوفاني دا فيرازانو بين فرنسا وأمريكا الشمالية

رحلات بيدرو ألفاريز كابرال (1467-1520)،

مكتشف البرازيل بالصدفة!!

اشتهر بيدرو كابرال Pedro Alvarez Cabral في التاريخ بأنه مكتشف البرازيل، بعد أن لعبت الصدفة الدور الأساسي في ذلك، ومنحت البرتغال، تلك الدولة الاستعمارية الصغيرة، مساحات شاسعة من الثراء في أمريكا الجنوبية..

فكيف تم ذلك؟

وُلد بيدرو كابرال لأسرة عريقة في البرتغال، وعمل في بلاط الملك جون الثاني John II، تم التحق بالخدمة في الكنيسة، وعمل مستشارًا لمانويل الأول Manuel I، كان ذلك إبان عودة رحلة فاسكو داجاما من الهند.

في عام 1499 حصل كابرال على رتبة (أميرال).. وفي عام 1499 تم تعيينه على رأس أسطول يتكون من 13 سفينة على متنها أكثر من ألف بحار وتاجر، وذلك للسفر إلى الهند بهدف تأسيس المستعمرات والمراكز التجارية البرتغالية على طول ساحل مالابار Malabar، وتأمين طريق تجاري لجلب التوابل إلى البرتغال.

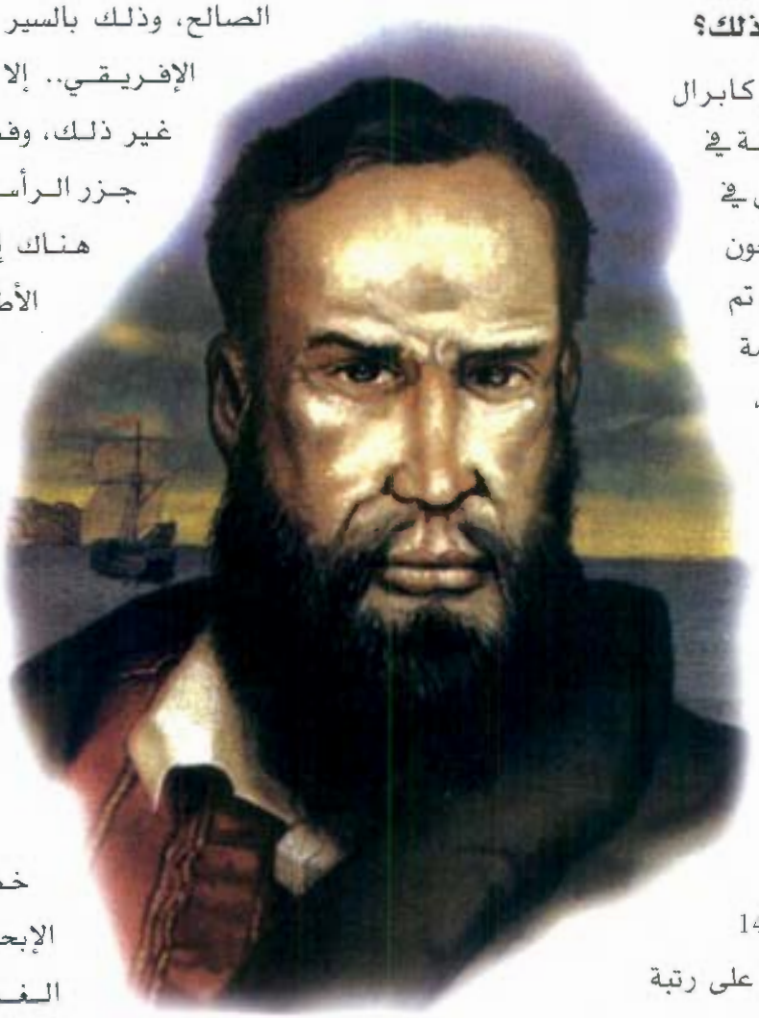

كابرال، ذهب لإقامة مستعمرات ومراكز تجارية على طول الساحل الهندي، فقادته الصدفة إلى البرازيل.

لقد كانت رحلة تجارية أكثر منها استكشافية.

في 9 مارس عام 1500 أبحر كابرال من لشبونة، وكان من بين بحارته بارتولوميو دياز Bartolomeu Dias الذي كان قد وصل إلى رأس الرجاء الصالح من قبل.

أشار (دياز) على كابرال أن يسلك الطريق التي سبق وأن سلكها للوصول إلى رأس الرجاء الصالح، وذلك بالسير بمحاذاة الساحل الإفريقي.. إلا أن كابرال رأى غير ذلك، وفضّل أن يتجه نحو جزر الرأس الأخضر، ومن هناك إلى وسط المحيط الأطلسي مستغلًا الرياح والتيارات البحرية.. وكان يأمل أن يقلل هذا الطريق من زمن الرحلة!

مَرّ كابرال بجزر الرأس الأخضر، كما خطط، واستمر في الإبحار باتجاه الجنوب الغربي بمساعدة الرياح التجارية.. كان يهدف إلى مواصلة الإبحار في هذا الاتجاه حتى إذا ما وصل خط العرض الذي يقع عليه رأس الرجاء الصالح فإنه يتجه نحو الشرق، هكذا خطط كابرال، إلا أنه حدث ما لم يكن في الحسبان.. فقد أدى سوء الأحوال

الجوية والرياح غير المتوقعة إلى إرغام السفن على الإبحار غربًا!!

وفي 22 أبريل عام 1500 رأى (كابرال) وبحارته أرضًا باتجاه الغرب، فاتجه إلى هناك لاستجلاء الأمر.. إن الذي رأوه هو مونت باسكال Mount Pascal، شمالي مدينة ريو دي جانيرو الحالية.

نزل كابرال هناك، وأعلن ملكية هذه المنطقة لملك البرتغال، وأطلق عليها اسم تيرا دا فيراكروز Terra da Veracruz، وتعني Land of true cross.. أرسل (كابرال) في الحال سفينة إلى البرتغال تحمل الخبر السعيد.. واستمر يستكشف المناطق القريبة على طول الساحل عدة أيام.

في 2 مايو 1500 قاد كابرال أسطوله بعيدًا عن تلك المنطقة الجديدة، مستأنفًا رحلته بنشاط إلى الهند.

وإلى الجنوب من رأس الرجاء الصالح تعرض أسطول كابرال لعاصفة شديدة، أغرقت 4 سفن منه، وعبثت وبعثرت الباقي، وكان دياز من بين الغرقى.

اجتمع شمل السفن المبعثرة مرة أخرى عند ساحل موزمبيق، حيث عبر كابرال بها المحيط الهندي في هدوء، حتى وصل كلكتا في 13 سبتمبر عام 1500، وهناك قاومه التجار المسلمون، وأرغموه على التوجه جنوبا، فنزل في كوشين Cochin وأسس بها مستعمرة تجارية برتغالية، ثم بدأ رحلة العودة إلى لشبونة، فوصلها عام 1501.. وبعد عودته فضل العزلة، ولم يعد مرة أخرى للبحر حتى مات!

△ رحلات كابرال بين البرتغال وأمريكا الجنوبية.

رحلات ماجلان

أول من طاف حول الأرض وأثبت كرويتها:

وُلد فرديناند ماجلان Ferdinand Magellan في البرتغال عام 1480 ، كان أبوه من أشراف البلاد، ونشأ في حاشية الملك.

كان ماجلان ضمن رجال داجاما، في رحلة إلى الهند، واشترك في معركة كينانور البحرية في 16 مارس 1506، وهي من أهم المعارك في الحروب البرتغالية الاستعمارية.. حيث قام داجاما وجنوده بتدمير ميناء كاليكوت الهندي، وتمكن البرتغاليون بعد ذلك من السيطرة على معظم موانئ الهند، وقد أصيب ماجلان في تلك المعركة.

فرديناند ماجلان، أول من طاف حول الأرض وأثبت كرويتها.

شهد ماجلان خلال رحلته إلى الهند افتتاح مدينة ملقا، ثم سافر شرقًا لاكتشاف جزر التوابل، فمرَّ شرقي جزيرة جاوا، وجزيرة مدورا Medora، ثم قطع أرخبيل سلبيس Celebes، حتى وصل جزيرة بندا Benda، فوجد هناك من التوابل ما يفوق الوصف!!

عاد ماجلان إلى البرتغال عام 1512، ونال لقب ربان.. وفي عام 1513 رافق الحملة البرتغالية إلى شمال إفريقيا، وجرح خلال حصارهم لإحدى المدن.

كان لدى ماجلان أفكار عظيمة وجريئة في البحث عن طرق أخرى توصل إلى جزر التوابل، إلا أنه لم يجد في البرتغال من يشجعه على تحقيق أفكاره وطموحاته.. أحس أنه مقيد بالأغلال. فكر في اللجوء إلى إسبانيا وعرض فكرته على الملك هناك، ومحاولة إقناعه بها، ليقدم إلى إسبانيا صكًا بملكية جزر التوابل، التي يعلم أنها واقعة في نطاق التقسيم البابوي، عندما قسم البابا العالم بين البرتغال وإسبانيا!!

وبالفعل غادر ماجلان البرتغال، ووصل إشبيليه في 20 أكتوبر عام 1517، وقصد البلاط الملكي في فلادوليد (بلد الوليد)، فتخلى عن جنسيته وتقلد الجنسية الإسبانية.. ساعده على ذلك رجل من أصل برتغالي ذو نفوذ في بلاط ملك إسبانيا، وتزوج ماجلان من ابنة هذا الرجل، وساعده في أن يعرض على الملك فكرته، والمشروع الذي أعده للطواف حول الأرض، والذي يتلخص في محاولة الوصول إلى جزر التوابل بالسفر غربًا.. كان ماجلان يأمل أن يكتشف عند طرف أمريكا الجنوبية مضيقًا يصل منه إلى الجانب الآخر من أمريكا، وقال إنه مستعد للسفر إلى هناك.

ساعد ماجلان في رسم تلك الخطة فلكي برتغالي يُدعى فاليرو، وفي 22 مارس 1518 وافق الملك على الخطة، ووقع معهما وثيقة تنص على أن يستحق ماجلان وفاليرو 5 % من الغنائم، وأن يكون لهما الحق في إقامة حكومة في البلاد التي يكتشفانها، ويتولى الحكم فيها أبناؤهما، تحت إمرة ملك إسبانيا.

وبدأت الرحلة:

في 10 أغسطس 1519 أبحر ماجلان من إشبيليه عن طريق نهر جوادالكيفير Guadalquivir (الوادي الكبير) إلى المحيط الأطلسي، في حملة تكونت من خمس سفن هي: (سان أنطونيو)، وهي أكبر السفن، وحمولتها 120 طنًا، (ترينيداد) وهي أمتن السفن، وحمولتها 110 أطنان، وقد رفع عليها علم القيادة، (كونسيسيون) وحمولتها 90 طنًا، (فيكتوريا) وحمولتها 85 طنًا، (سنتياجو) وحمولتها 75 طنًا.. ولم يرجع من هذه السفن الخمس إلى إسبانيا سوى سفينة واحدة، كما سنرى..

كان عدد البحارة نحو 280 بحارًا، معظمهم من الإسبان، ونحو 70 من البرتغاليين، ونحو 30 من جنوه (إيطاليين)، ونحو 19 من الفرنسيين والإنجليز، وألماني واحد.. ولم يرجع من هؤلاء الرجال جميعًا سوى 31 رجلًا!!

زُوِّدت السفن بالمؤن والعديد من صنوف الطعام، وكل ما يحتاج إليه البحارة لفترة طويلة، كما زوِّدت بآلات الحرب من مدافع وحراب ورماح وغيرها. وقد تخلف الفلكي فاليرو عن الرحلة لقناعته بفشلها.

الوصول إلى إمريكا الجنوبية:

في 29 نوفمبر شاهد ماجلان ورجاله من بعيد أرض البرازيل، وفي 13 ديسمبر دخل ماجلان بسفنه خليج ريو دي جانيرو، بعد سفر استغرق أحد عشر أسبوعًا.

يقع خليج ريو دي جانيرو في نطاق الممتلكات المخصصة للبرتغال، طبقًا للتقسيم الباباوي، ولو اتبع ماجلان التعليمات الصريحة التي تلقاها، ما كان له الحق بالنزول هناك، ولكن البرتغاليين لم يكونوا في ذلك الوقت قد شيدوا حصونًا في تلك المنطقة، ولا أقاموا بها منشآت أو مراكز تجارية.

نزل ماجلان ورجاله إلى البر، وقابلهم السكان بالترحاب، وتبادلوا معهم الهدايا.. وفي أواخر ديسمبر، أقلع ماجلان مبتعدًا عن الخليج، وسار بمحاذاة الساحل جنوبًا بحثًا عن الممر الذي ينشده، بناء على ما جاء بخريطة الألماني مارتن بيكهام، وتقارير الملاحين البرتغاليين ممن سبقوه.

△ خط سير رحلة ماجلان في أرخبيل الفيليبين.

رحلة ماجلان حول العالم

في 10 يناير وصل ماجلان إلى رأس سانتا ماريا، وظهر من بعيد قمة جبل صغير تشرف على سهل واسع، وأطلق ماجلان على ذلك المكان اسم (مونتيفيديو) Monetevideo (العاصمة الحالية لأورجواي).. ولجأت السفن إلى الخليج لاتقاء العواصف، ولم يكن هذا الخليج سوى مصب نهر لابلاتا La Plata.

بدأ ماجلان يشك في صحة خريطة (مارتن بيكهام)، وبدأ فصل الشتاء المخيف، فلا يُرى سوى الطيور البحرية والحيوانات المائية، ولا أثر لكائن حي على الشاطئ!

واصل ماجلان رحلته نحو الجنوب، وفي 24 فبراير وصل إلى خليج كبير ظنه الممر المنشود، إلا أنه في الحقيقة كان خليج سان ماتياس San Matias Bay.

عاود ماجلان الإبحار جنوبًا بمحاذات الساحل.. وبدأ رجاله يشكون البرد القارس، وقصر النهار وطول الليل.. اشتدت العواصف، وكثرت الزوابع، الثلج يتساقط بشدة، والسفن تسير ببطء شديد.

لقد مرت ستة أشهر منذ الإبحار من إشبيليه، استولى الذعر على البحارة.. هل خدعهم ماجلان؟

في 31 مارس وصل ماجلان إلى خليج ظنه الممر المنشود، إلا أنه لم يكن سوى خليج سان جوليان San Julian الصغير.. كانت الظروف المناخية قاسية، فعزم ماجلان على قضاء بعض الوقت لإصلاح سفنه هناك.

أوشكت المواد الغذائية على النفاد، فأمر ماجلان بتخفيض الحصة اليومية من الغذاء لكل بحار.. وهنا ظهر التمرد، وحدث ما يشبه الانقلاب على ماجلان، إلا أن ماجلان تمكن من إنقاذ الرحلة، وتم إعدام قائد التمرد!

قضى ماجلان في خليج سان جوليان نحو أربعة أشهر، وهي فترة الشتاء المرعب، ووطد البحارة علاقاتهم مع سكان المنطقة، الذين كانوا

عمالقة، فأطلقوا عليهم اسم الباتاجونيين، وتعني بالإسبانية: ذوي الأقدام الكبيرة. وأطلقوا على المنطقة اسم (باتاجونيا).

في 24 أغسطس 1520 غادر ماجلان الخليج متجهًا نحو الجنوب، وعند سانتا كروز Santa Cruz تحطمت السفينة سنتياجو.

واصل ماجلان الإبحار بالسفن الأربعة الباقية.. وفي 21 أكتوبر 1520 كشف ماجلان رأس العذارى عند مدخل خليج عميق ذي مياه فاتحة، فاقتربت منه السفن الأربعة.. وعبرت المضيق الذي دعاه ماجلان مضيق جميع القديسين، الذي سُمي فيما بعد مضيق ماجلان Strait of Magellan.

كان ماجلان وبحارته يرون في الظلام نيرانًا، فأدركوا أن هناك بشرًا يسكنون تلك المنطقة، فأطلقوا عليها (أرض النار)!!

لقد أدرك ماجلان أنه حقق هدفه، وعبر الممر المؤدي إلى البحر الجنوبي العظيم.. فهل يواصل رحلته إلى جزر التوابل ليضعها تحت سيطرة إسبانيا، أم يعود إلى بلاده، خاصة وأن المؤن الموجودة معه أوشكت على النفاد؟.

لقد قرر ماجلان مواصلة الرحلة.. واستمر في المغامرة، وهنا تمرد عليه بحارة السفينة سان أنطونيو، وقرروا الفرار.

سار ماجلان بسفنه الثلاثة في بحر واسع، لم ير أرضًا، كانت الرياح هادئة، فأطلق على ذلك البحر (المحيط الهادئ).

نفدت المؤن.. وبدأت المجاعة، حتى اضطر البحارة إلى أكل نشارة الخشب.. وأصيبوا بالأمراض، تقرحت أفواههم، وتساقطت أسنانهم (مرض الإسقربوط)، ومات منهم 19 بحارًا.

في 6 مارس 1521، أي بعد نحو 100 يوم من خروج السفن من مضيق ماجلان، رأى ماجلان ورجاله أرضًا، وما أن وصلوا إليها حتى هاجمهم سكانها العراة، واستولوا على ما في السفن.. فأمر ماجلان رجاله بالرد على هؤلاء المتوحشين، فأحرقوا أكواخهم، واضطروهم إلى الفرار نحو الغابات. ومكث ماجلان وبحارته في تلك الجزيرة ثلاثة أيام، تناولوا فيها طعامًا طازجًا، فاستعاد معظمهم قوته ونشاطه، وأطلقوا على تلك الجزيرة اسم جزيرة اللصوص.. وأغلب الظن أن تلك الجزيرة هي جزيرة جوام Guam.

في 17 مارس ظهرت في الأفق جزيرة ثانية، ثم ثالثة.. ظن ماجلان أنه بلغ جزر التوابل، إلا أنه في الحقيقة كان قد وصل أرخبيل الفيلبين.

مقتل ماجلان:

وصل ماجلان جزيرة سامار Samar، وفي 7 أبريل وصل جزيرة سيبو Cebu في قلب الأرخبيل.. أراد ماجلان أن يعقد معاهدات مع زعماء الجزر، ويرفع عليها العلم الإسباني، وبالتالي يكون قد كشف إمبراطورية جديدة للتاج الإسباني.

تخير ماجلان زعيم (سيبو) ليكون ملكًا على تلك الجزر، إلا أن زعيم إحدى الجزر القريبة من سيبو رفض الاعتراف بزعامة ملك سيبو لخلاف بينهما، ثم إن رجال ماجلان لما نزلوا بتلك الجزيرة نهبوا خيراتها واستباحوا نساءها.

أراد ماجلان أن يؤدب هذا المتمرد ويخضعه لحكم زعيم سيبو، فركب البحر ومعه 60 رجلًا وعبر المضيق الفاصل بين الجزيرتين، ودار القتال، وهناك، في يوم 27 أبريل 1521 قتل ماجلان، وتكاثر عليه سكان الجزيرة ومزقوا جسده.. ورفض زعيم الجزيرة تسليم الجثة للبحارة، واحتفظ بها كغنيمة، ولا يعرف أحد بعد ذلك ما حل بجثة ماجلان!!

هكذا دارت معركة غير متكافئة قتل فيها ماجلان

تظاهر ملك سيبو بالخضوع للإسبانيين بلا قيد أو شرط، ودخوله في دينهم.. ثم دعاهم إلى حفلة يسلمهم فيها هدايا إلى ملك إسبانيا، وفي تلك الحفلة انقض عليهم سكان الجزيرة وذبحوا منهم الكثير!!

ابتعد الباقون عن الجزيرة، وكان عددهم 115 بحارًا.. وبدأت المياه تتسرب إلى السفينة كونسيسيون من كل ناحية، فتم تحطيمها.. واستقل الباقون سفينتين هما: فيكتوريا وترينيداد.. ولم يكن لهما قائد ماهر، فواصلتا سيرهما في اضطراب.

في الطريق هاجموا إحدى السفن التي مروا بها، وأسروا أحد رجالها الذي دلهم إلى جزر التوابل.

في 8 نوفمبر وصلت السفينتان إلى إحدى جزر ملوك (مجموعة من جزر إندونيسيا) التي كان يحلم ماجلان بالوصول إليها، ونزل بها البحارة، وأكرمهم زعيمها، وهناك وجدوا أن السفينة ترينيداد لا تصلح للسفر، ولابد من إصلاحها.. استقلّ الباقون السفينة فيكتوريا وأقلعوا بها متجهين إلى أوربا في 21 ديسمبر 1521، حيث لقوا الكثير من الصعاب وهم يدورون حول رأس الرجاء الصالح.. ولما بلغوا الرأس الأخضر أسر البرتغاليون ثلاثين رجلًا منهم..

وصلت السفينة فيكتوريا إلى إشبيليه وعلى متنها فقط 18 بحارًا، وذلك في سبتمبر عام 1522، بعد رحلة استمرت نحو ثلاث سنوات!!

وكانت السفينة فيكتوريا أول سفينة تدور حول العالم!!

ما إن وصل ماجلان إلى الأرخبيل حتى رفع الصليب وسط جزيرة سيبو إعلانًا بضم الأرض إلى إسبانيا ودخولها في المسيحية.

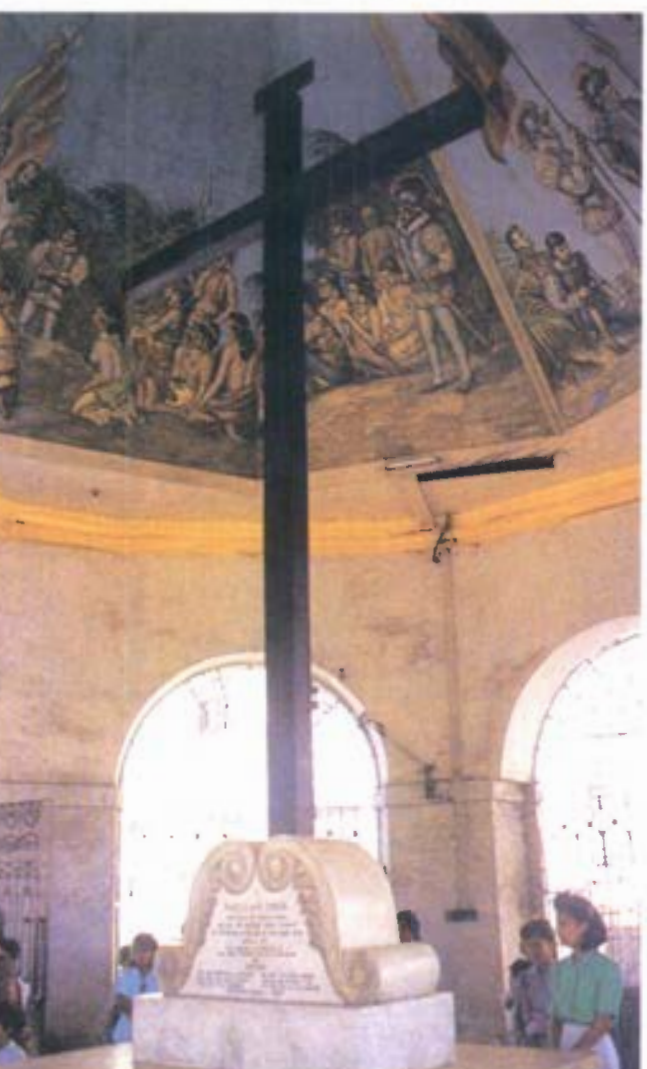

الغزو الإسباني لأمريكا الوسطى

بعدما وصل المستكشفون الإسبان إلى جزر البحر الكاريبي، وجدوا أن هذه الجزر تمتد باتجاه الغرب، فتتبعوها حتى وصلوا أمريكا الوسطى، التي وجدوها عامرة بالحضارات والثقافات التي قد تفوق حضارات وثقافات أوربا، كحضارتي إمبراطوريتي المايا والأزتك.

سيطر الغزاة الإسبان على المنطقة ونهبوا ثرواتها، وأقاموا عليها مستوطناتهم، وأسسوا هناك إسبانيا الجديدة (المكسيك).

خوان دي لاكوسا (1460-1510):

رسام الخرائط الذي قام برسم خريطة العالم World Map- Mappa Mundi **التي ظهرت عام** 1500، **وذلك بعد** 8 **سنوات من إبحار كولومبس عبر المحيط الأطلسي في رحلته الأولى.**

وُلد خوان دي لاكوسا Juan de la Cosa في بورتو دي سانتا ماريا Puerto de Santa Maria. وهو ميناء صغير على خليج قادش Cadiz.. كان أبوه بحارًا من الباسك، إلا أنه كان يدين بالفضل في رحلاته وتعلم الملاحة وقيادة السفن إلى كولومبس.

صحب لاكوسا كولومبس في رحلته الثانية عام 1493 كبحار، وقد استثمر هذه الرحلة في جمع المعلومات الجغرافية من البحارة الإسبان والبرتغاليين، ليبدأ عمله العظيم، وهو رسم خريطة العالم Mappa Mundi.

في عام 1499 صحب (لاكوسا) ألونسو أوخيدا في حملته إلى الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، وحدد (رسم) سواحل فنزويلا وكولومبيا، وضمها إلى ما سبق أن جمعه من معلومات، بالإضافة إلى معلومات جمعها من رحلات (بيدرو كابرال) و(أميرجو فيسبوتشي)، ليتم إنجازه العظيم، وهو رسم خريطة العالم، وكانت أول خريطة تظهر

الاكتشافات الجغرافية الحديثة في العالم الجديد، مثل القسم الشمالي من أمريكا الشمالية، وجزر البحر الكاريبي، والساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية.

إلى بلاد الذهب المزعومة!!

في عام 1501 عاد (لاكوسا) لزيارة ساحل كولومبيا ضمن بعثة رودريجو دي باستيداس Rodrigo de Bastidas التي اتجهت نحو خليج أورابا Uraba ثم ساحل بنما..

وفي عام 1504 حصل (لاكوسا) على موافقة من الملكة إيزابيلا بالقيام برحلة أخرى، فأبحر من إسبانيا حتى وصل جزيرة مارجاريتا Margarita مقابل ساحل اللؤلؤ في فنزويلا، وهناك تاجر في اللؤلؤ مع الهنود (السكان الأصليين للمنطقة)، ثم ذهب غربًا باتجاه خليج أورابا Uraba، وهناك وجد بالصدفة من بقى حيًا من حملة كريستوبال جيرا Cristobal Guerra، تلك الحملة التي عانت العديد من المشاكل، فقدم لها (لاكوسا) المساعدة قدر استطاعته.

أسس (لاكوسا) معسكرًا للجند على الخليج، وقاد العديد من الحملات الاستكشافية نحو الداخل بحثًا عن الذهب.. وهناك صادق الهنود، وسمع منهم حكايات كثيرة عن أماكن الذهب الموجودة نحو الداخل، وفي الجانب المقابل من الخليج عند دارين Darien.. لقد تأكد من وجود الذهب عندما وصل إلى قرية هندية مهجورة في جبال كولومبيا، حيث وجد هناك أوعية مملوءة بالأقنعة الذهبية!!

خشى (لاكوسا) من هجوم الهنود إذا ما واصل التوغل نحو الداخل أكثر من ذلك، مما جعله يرجع ثانية إلى خليج أورابا، وهناك عبر الخليج في محاولة للبحث عن الذهب في القرى الهندية القريبة من دارين، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، ولم يعثر على الذهب!!

في تلك الأثناء وصلت سفن حملة كريستوبال جيرا Cristobal Guerra إلى خليج أورابا.. قاد لاكوسا السفن عائدًا إلى إسبانيا، حيث وصل إشبيليه في مارس 1506 ومعه نحو 60 بحارًا ممن بقوا على قيد الحياة من رجال البعثتين.

في عام 1509 أبحر (لاكوسا) مع ألونسو دي أوخيدا في بعثة جديدة إلى ساحل كولومبيا، حيث قاموا بغارة فاشلة على قرية هندية قرب كارتاجينا Cartagena الحالية، وهناك هاجمهم الهنود بالرماح والسهام المسممة، وأصيب لاكوسا ومات في سفينة أوخيدا في 28 فبراير 1510.

ألونسو دي أوخيدا (1466-1515)

اكتشف سواحل فنزويلا وكولومبيا والمناطق المجاورة.. وشارك في تأسيس أول مستعمرة أوربية في أمريكا الجنوبية.

بدأ ألونسو دي أوخيدا Alonso de Ojeda حياته البحرية في العالم الجديد ضمن رحلة كولومبس الثانية.

وفي الحقيقة، كان دي أوخيدا قرصانًا دمويًا ولصًا أكثر منه مستكشفًا.. وكانت دوافعه للنهب وسلب الثروات أكثر منها للاستكشاف.

شارك وهو في سن مبكرة في قتال المسلمين بجنوب إسبانيا.. والتحق بحملة كولومبس عام 1493.

في هيسبانيولا اكتسب دي أوخيدا شهرة واسعة بسبب ما قام به من اكتشاف للمناطق الداخلية للجزيرة، وقتاله للهنود، وسلبهم ونهب ثرواتهم.

كما اشتهر أيضًا بكونه بحارًا محنكًا على دراية بالعالم الجديد، ولما عاد إلى إسبانيا عام 1495 كلفه الملك بقيادة حملة للكشف عن مصادر الثروة في الأمريكتين.. كان عليه أن يبدأ من حيث انتهى كولومبس، الذي وصل إلى فنزويلا عام 1498.

في مايو من عام 1499 أبحر (دي أوخيدا) من قادش Cadiz برفقة (أميريجو فيسوبتشي) ورسام الخرائط خوان دي لاكوسا Juan de la Cosa.

وعند جزر الرأس الأخضر، في المحيط الأطلسي قبالة الساحل الإفريقي، انقسمت الحملة إلى قسمين، حيث اتجه دي أوخيدا إلى المنطقة الواقعة شمالي نهر أورينوكو Orinoco في فنزويلا، بينما اتجه أمريجو إلى المنطقة الجنوبية.

اتجه دي أوخيدا نحو جزيرة ترينداد Trinidad، وهناك اكتشف خليج باريا Paria، ثم

تتبع الساحل نحو الغرب، حيث اكتشف جزيرة كوراكاو Curacao (شمالي المحيط الأطلسي)، ثم باتجاه الشمال نحو بروز شبه جزيرة باراجوانا Paraguana في خليج فنزويلا، وباستكشاف المنطقة جنوبي الخليج، وجد دي أوخيدا مدخلًا يؤدي إلى بحيرة كبيرة، هي ما يعرف الآن ببحيرة ماراكايبو Maracaibo. وأطلق على المنطقة المحيطة بالبحيرة اسم Coquibacoa.. كان سكان المنطقة يعملون بصيد الأسماك.. كانت مساكنهم مصنوعة من الأخشاب ومقامة على أعمدة من الأخشاب فوق مياه البحيرة، مما جعل (دي أوخيدا) يطلق على هذه المنطقة اسم (فنزويلا)، أي (فينيسيا الصغيرة)، تشبيهًا لها بفينسيا الإيطالية (البندقية).. ووصف السكان هناك بأنهم من آكلي لحوم البشر، وأسر العديد منهم، وسلب كل ما صادفه معهم!!

أبحر (دي أوخيدا) شمالًا خارجًا من البحيرة، ودار حول كيب جالينـاس Cape Gallinas، واستمر في الإبحار باتجاه الجنوب الغربي ملتفًا حول ساحل كولومبيا، وذلك قبل أن يتجه شمالًا نحو المكان الذي سيلتقي فيه مع (أمريجو) في جزيرة هيسبانيولا.

وصلت هذه الأخبار إلى إسبانيا، وتم تعيين (دي أوخيدا) حاكمًا على Coquibacoa، ومنحه أراضي في هيسبانيولا مكافأة له.

في عام 1502 قام دي أوخيدا بحملة استكشافية ثانية إلى المنطقة، وبعد أن وصل قرب ترينيداد Trinidad، أبحر باتجاه ما أسماه ساحل اللؤلؤ Pearl Coast، بقصد مهاجمة الصيادين والاستيلاء على ما معهم من اللؤلؤ، وقتل كل من يتصدى له!!

وفي أثناء عودته إلى هيسابنيولا، وجد نفسه يدور حول ساحل كولومبيا، إذ كانت الحملة قد وصلت فنزويلا وانتهت إلى رأس جالينـاس Cape Gallinas في كولومبيا، ثم أبحر على طول الساحل حتى وصل إلى الموقع الحالي لمدينة كارتاجينا Cartagena.

دي أوريلانا مكتشف نهر الأمازون

هاجم دي أوخيدا الهنود واستعبدهم، وخرّب قراهم، مما أثار سخط الهنود من سكان المناطق المجاورة، فقاموا بمحاصرة دي أوخيدا ورجاله، وأمطروهم بوابل من الرماح والسهام المسممة، وقتلوا منهم الكثير، إلا أن (دي أوخيدا) تمكن من الفرار مع مجموعة معه!

في عام 1510 عاد (دي أوخيدا) مع مجموعة من المستوطنين المستعمرين الإسبان، وتمكن من تأسيس مستعمرة في سان سيباستيان San Sebastian في كولومبيا على خليج أورابا Uraba، الذي كان يشن منه الهنود غاراتهم، ثم عاد إلى هيسبانيولا لتعزيز قواته هناك، وفي أثناء ذلك دمر الهنود المستعمرة، وفقد دي أوخيدا كل ممتلكاته هناك، ومات في هيسبانيولا فقيرًا عام 1515!!

فرانسيسكو دي أوريلانا (1511-1546)، مكتشف نهر الأمازون.

فرانسيسكو دي أوريلانا Francisco de Orellana مستكشف إسباني، ترأس أول بعثة كشفية أوربية للملاحة على طول نهر الأمازون.

فكيف كان ذلك؟

شارك دي أوريلانا في العديد من الحملات الاستكشافية، حيث كان ضمن حملة فرانسيسكو بيزارو في غزو البيرو عام 1535، إلا أن أهم أعماله هي تلك البعثة الاستكشافية التي قادها على طول نهر الأمازون، والتي لعبت الصدفة دورًا كبيرًا فيها!!

فقد دي أوريلانا إحدى عينيه في أثناء تقدمه نحو كوسكو Cusco (في البيرو) عام 1533.

△ المنعطفات الضيقة، والغابات الكثيفة التي يصعب اختراقها، كانت من أهم المعوقات التي واجهت دي أوريلانا خلال اكتشافه لنهر الأمازون.

بعد الغزو أقام دي أوريلانا في بورتو فيجو Portoviejo (في الأكوادور)، وساعد في صد هجمات الهنود ضد الإسبان المحتلين.. وفي أثناء الحرب الأهلية بين بيزارو وديباجو دي ألماجرو Diego de Almagro، انحاز دي أوريلانا إلى بيزارو، الذي أرسله على رأس حملة لاستكشاف المناطق الداخلية لما يعرف الآن بالإكوادور، حيث كانت تعيش جماعات من الهنود التي تعادي الإسبان المستعمرين.. وتمكن دي أوريلانا من القضاء عليهم عام 1537، وأعاد تأسيس المستعمرة الإسبانية فيما يعرف الآن باسم جواياكويل Guayaquill.

في عام 1541 وافق دي أوريلانا على الانضمام إلى حملة كشفية بقيادة جونزالو بيزارو Gonzalo، الأخ غير الشقيق لفرانسيسكو بيزارو، كانت هذه الحملة تهدف للوصول إلى ما وراء الإنديز بحثًا عن أشجار القرفة، وأرض إلدورادو Eldorado الإسطورية، حيث شاطئ البحيرة المحاطة بالذهب!

رحل دي أوريلانا ومعه قوة صغيرة، بعيدًا عن القوة الرئيسية التي يقودها جونزالو.. وبعدما عاد وجد جونزالو ومن معه قد أصابهم الجوع وأكلوا الحشائش.. وعلى وجه السرعة قام (دي أوريلانا) وأبحر عبر نهار نابو Napo عبر مركب كبير ومجموعة من المراكب الصغيرة، ومعه 57 رجلًا، وذلك بقصد جمع الغذاء، وتأمين الطعام..

تتبع (دي أوريلانا) ورجاله النهر بطول نحو 700 ميل، إلا أنهم لم يعثروا على مصادر للطعام.. وبعيدًا عن جونزالو ورجاله وما يواجهون من مجاعة، فقد واجه دي أوريلانا ورجاله أيضًا مجاعة شديدة.

وفي يناير 1541 وصلوا إلى قرية، وتمكنوا من الحصول على الطعام من سكانها.. وعند هذه النقطة واجهوا العديد من الصعوبات التي منعتهم من العودة إلى جونزالو مرة ثانية.. لذا قرر دي أوريلانا مواصلة الإبحار في النهر، إذ لم يكن بُدٌّ من ذلك!!

في يونيو وصل دي أوريلانا إلى مكان التقاء نهر الأمازون بنهر نجرو Negro، حيث يكونان معًا مجرى مائيًا واسعًا.. وهناك سمع من السكان الأصليين (الهنود الحمر) حكايات عن قبيلة من النساء المحاربات.. يقول مؤرخ الحملة Friar Gaspar de Carvajal، إنهم تقابلوا مع مجموعة من هؤلاء النسوة، وقد أطلق عليهن دي أوريلانا اسم Amazons، ويعني: امرأة من عرق خرافي من المحاربات كما زعمت الأساطير.. ثم صار الاسم علمًا على النهر.

أخيرًا، وفي 26 أغسطس 1542 وصل دي أوريلانا إلى مصب النهر في المحيط الأطلسي، بعد أن تغلب على المخاطر التي واجهته في دلتا الأمازون.. وتتبع ساحل أمريكا الشمالية باتجاه الشمال الغربي حتى وصل إلى المستعمرة الإسبانية المقامة على جزيرة كوباجو Cubagua قبالة فنزويلا، ثم قصد ترينداد، وعاد إلى إسبانيا، ولم يبال بجونزالو ومن معه، ولذا يرى بعض المؤرخين أن دي أوريلانا قد خان جونزالو وتخلى عنه.

في عام 1544 أصبح دي أوريلانا حاكمًا على المناطق التي اكتشفها، وفي نوفمبر عام 1546 انتهت حياته بشكل درامي، حيث غرق في سفينته قرب مصب النهر!!

فرانسيسكو دي أوريلانا، أرسله بيزارو للكشف عن مناطق القرفة والذهب، فقادته الصدفة لاكتشاف نهر الأمازون.

رحلات أميريجو فيسبوتشي (1454-1512)،

البحار الذي سُميت قارتا أمريكا باسمه دون أن يكون له فضل في ذلك!!

وُلد فيسبوتشي Amerigo Vespucci، في مدينة فلورانسا، ودرس الملاحة، ثم انتقل إلى قشتالة في إسبانيا حيث عمل في شركة ملاحية.. ويُذكر أنه كان ضمن الملاحين الذين جهزوا السفن لرحلات كولومبس في إسبانيا.. ويزعم البعض أن فيسبوتشي سافر مع كولومبس في إحدى رحلاته، إلا أنه لا دليل على ذلك!

ادّعى فيسبوتشي أنه أبحر مع مجموعة من البحارة حتى وصل ساحل أمريكا عام 1497، أي قبل أن يصله كولومبس، كما ادعى أنه قام بأربع رحلات إلى العالم الجديد، وكتب بذلك رسالة إلى لورنزو دي مديتشي حاكم فلورانسا، وهي الرسالة التي نشرت تحت عنوان (موندوس نوفوسي) أي العالم الجديد، وكانت سببًا في شهرته..

△ أميريجو فيسبوتشي

وتمكن فيسبوتشي من إقناع الكثير من أهل زمانه بأنه مكتشف العالم الجديد، وكان من بينهم الرسام الألماني مارتن فالدسميلر، الذي كتب يقول: (لقد

◁ خريطة توضح ما ادعاه (فيسبوتشي) من اكتشافات

كشفت قارة خامسة من قارات الأرض، كشفها أميريجو، ولذا سميناها أمريكا).

وشاع اسم أمريكا إلى يومنا هذا نسبة إلى أميريجو فيسبوتشي.. وعلى الرغم من ذلك، فإن معظم العلماء والمؤرخين يشككون في صدق مزاعم (فيسبوتشي).. ومن هؤلاء العلامة الشهير (همبلت) الذي جاء بالعديد من الأدلة القوية التي تثبت فساد ما ادعاه فيسبوتشي، ولكن كان ذلك عام 1837، أي بعد أن اشتهر اسم أمريكا بين الناس بأكثر من 300 سنة!!

هيرنان كورتيز (1485 - 1542)،

مكتشف المكسيك، ومدمر حضارة الأزتك:

كورتيز، أباد شعبًا ودمر حضارته

وُلد هيرنان كورتيز Hernan Cortes في إسبانيا، والتحق بدراسة القانون بإحدى جامعاتها، إلا أنه لم يتم دراسته، حيث سافر إلى جزيرة هيسبانيولا وهو في التاسعة عشرة من عمره، ثم إلى كوبا، وهناك عُيِّن مساعدًا للحاكم، الذي أرسله لاستكشاف المكسيك، حيث كان الإسبان قد وصلوا ساحلها عام 1517.

أبحر كورتيز في فبراير من عام 1519 باتجاه

أحد أفراد شعب الأزتك الذي قضى عليهم كورتيز

الغرب قاصدًا المكسيك في بعثة تتكون من 600 رجل و11 سفينة، حيث نزل بساحل شبه جزيرة يوكاتان Yucatan، وهناك أحرق السفن، ليمنع جنوده من التفكير في التقهقر.

لم يجد كورتيز مقاومة من السكان، ولم يجد كذلك الثروة التي كان يحلم بها.. ودلّه السكان على مناطق الثروة الهائلة لإمبراطورية الأزتك التي كانت تحكم أكثر من 5 مليون هندي (أمريكي) ويعيشون في المكسيك وأجزاء من أمريكا الوسطى. كانت إمبراطورية مزدهرة بفنونها، وثقافاتها، وعمرانها، بما يفوق حضارة العديد من مدن أوربا المتقدمة آنذاك.

سار (كورتيز) بجنوده المسلحين حتى وصل ميناء فيرا كروز Vera Cruz، ومنه اتجه نحو عاصمة الأزتك تينوتشتيلان Tenochtitlan (مكان العاصمة الحالية مكسيكوسيتي)، فرآها مدينة عامرة عريقة، ووجد الذهب الذي أثار حقده، فما كان منه إلا أن دمّر المدينة، وفرض حصارًا على أهلها حتى مات كثير منهم جوعى.. وسخر الباقين في التنقيب عن الذهب.. لقد ارتكب كورتيز في المكسيك من الفظائع ما يعجز

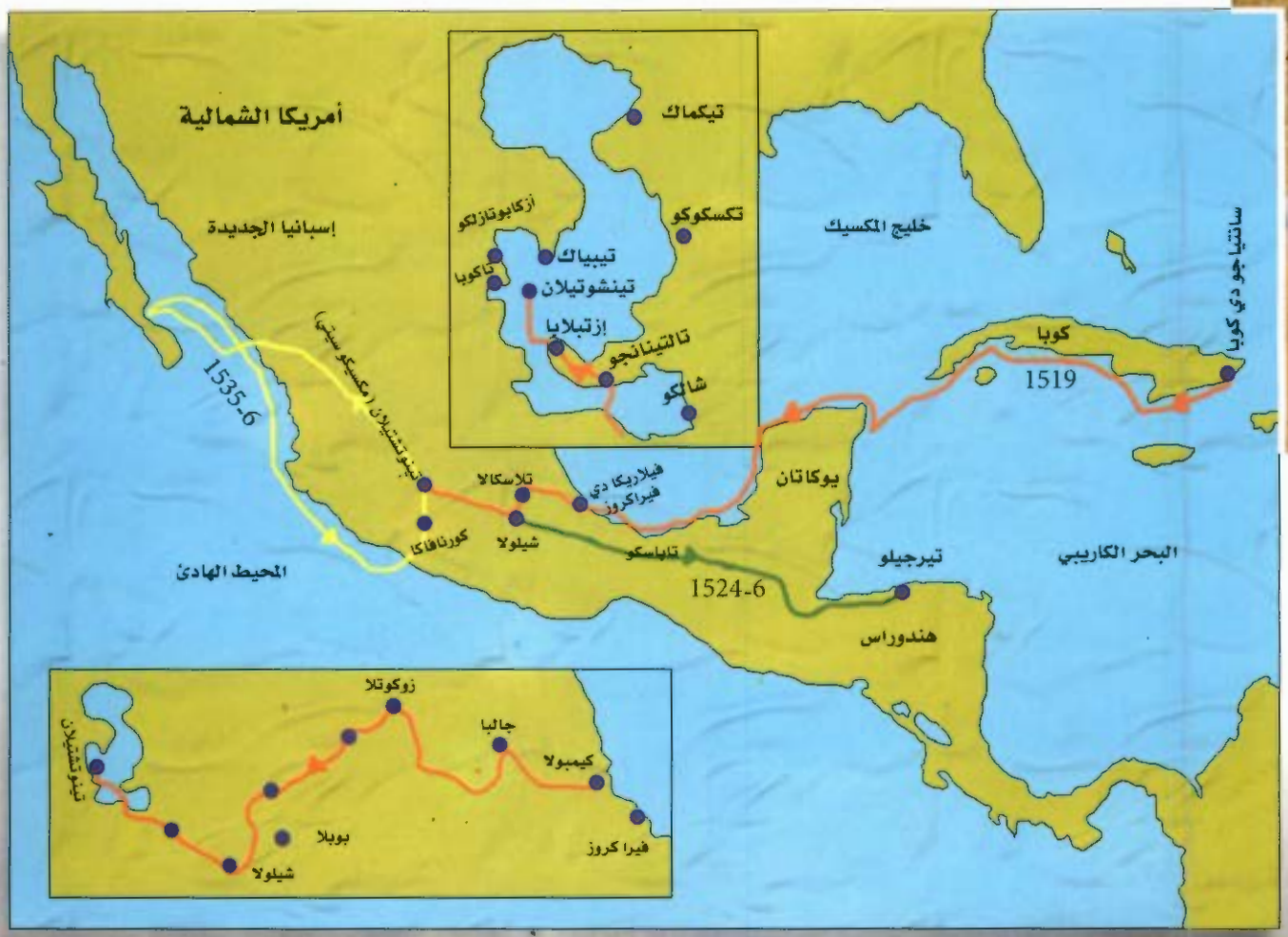
أمريكا الشمالية
إسبانيا الجديدة
خليج المكسيك
المحيط الهادئ
البحر الكاريبي
يوكاتان
هندوراس
تيكماك
تكسكوكو
أزكابوتازلكو
تيبياك
تاكوبا
تينشوتيلان
إزتبلابا
تالتيناتجو
شالكو
تينوشتيلان (مكسيكو سيتي)
1535-6
تلاسكالا
فيلاريكا دي فيراكروز
كورنافاكا
شيلولا
تاباسكو
1524-6
تيرجيلو
كوبا
1519
سانتياجو دي كوبا
زوكوتلا
جالبا
كيمبولا
بوبلا
فيرا كروز
تينوشتيلان
شيلولا

القلم عن وصفه!! لقد استولى على ثروات البلاد، وتم صهر الذهب ونقله إلى إسبانيا.

لقد دمّر كورتيز إمبراطورية الأزتك، في أغرب عمل من نوعه، تقوم به قوة صغيرة للغاية مسلحة بالمدافع والخيول، في القضاء على إمبراطورية ضخمة فائقة الثراء.. وبالتالي خضعت المكسيك للاستعمار الإسباني لنحو 300 سنة، نهب الإسبان خلالها ثرواتها بينما كان الهنود سكان البلاد الأصليون يعانون الفقر والعزلة!!

بيدرو دي ألفارادو (1485 - 1541)،

الرجل الثاني في غزو المكسيك وتدمير حضارة الأزتك، غزا السلفادور وجواتيمالا، وعُيّن حاكمًا عليها!!

كان بيدرو دي ألفارادو Pedro de Alvarado ضابطًا ومستكشفًا إسبانيًا.. وكان الرجل الثاني في حملة هيرنان كورتيز التي دمرت حضارة إمبراطورية الأزتك عام 1519.. ساهم بجهد كبير، بوحشيته وقسوته، في إخضاع معظم مناطق أمريكاالوسطى وأمريكا الجنوبية للاستعمار الإسباني!!

في عام 1510 وصل (دي ألفارادو) إلى سانتو دومنجو Santo Domingo في جزيرة هيسبانيولا مع أربعة من أشقائه.. وفي عام 1518 أبحر ضمن بعثة لخوان دي جريخالفا Juan de Grijalva إلى شبه جزيرة يوكاتان Yucatan في خليج المكسيك، وخلال تلك البعثة أظهر كفاءته كفاتح ومقاتل وغازٍ!!

في عام 1519 كان دي ألفارادو في سانتياجو دي كوبا Santiago de Cuba وانضم إلى حملة هيرنان كورتيز Hernan Cortez التي أبحرت من كوبا لغزو إسبانيا الجديدة (المكسيك)، وقد أظهر فيها أيضًا كفاءته كسفاح دموي!

عندما وصلت الحملة إلى فيراكروز Vera Cruz (في المكسيك)، ثم استعدت للسير نحو تينوتشتيتلان Tenochititaln (مكسيكوسيتي الحالية) تولى (دي ألفارادو) قيادة الحملة.. وفي العام التالي، عندما عاد كورتيز إلى فيراكروز ظل (دي ألفارادو) قائدًا للحملة ونائبًا لكورتيز.. وخلال تلك الفترة ارتكب من الجرائم أبشعها، حيث قتل وذبح المئات من أمراء الأزتك، مما أثار غضب الهنود الأزتك ضد الغزاة الإسبان!!

لقد كاد تهور (دي ألفارادو) يؤدي إلى خسارة إسبانيا لإمبراطورية كبرى في أمريكا الوسطى!!

في عام 1523 تم إحكام السيطرة الإسبانية على المنطقة، وتحطمت إمبراطورية الأزتك، واستطاع كورتيز أن يتخلص من نائبه المزعج (دي ألفارادو)، حيث أرسله على رأس حملة لاستكشاف وغزو المناطق الواقعة جنوبي شبه جزيرة يوكاتان.. جمع (دي ألفارادو) مجموعة

ألفارادو، السفاح الدموي، الذي وطّد الاستعمار الإسباني في أمريكا الوسطى. ◀

من الرجال، والكلاب المدربة، والعبيد الهنود ثم سار جنوبًا من تينو تشتيتلان مرورًا بأراضي Mixtec إلى Tehuantepec في Oaxaca (في المكسيك)، ولم يكن الوصول إلى هناك صعبًا، حيث أصبح الآن على تخوم إمبراطورية الأزتك، ليواجه أرضًا مجهولة، وشعبًا لا يعرف عنه شيئًا!!

اجتاز (دي ألفارادو) نهر أوسوماسنتا Usumacinta (في المكسيك) ليصل إلى هضبة جواتيمالا.. وبعد أن أخضعها لحكمه، اتجه نحو السلفادور، وقد حكم جواتيمالا حتى موته، وأسس هناك العديد من المستعمرات التي مارس عليها حكمه المطلق.

في عام 1534 أبحر (دي ألفارادو) إلى الإكوادور، وأطلق حملة باتجاه العاصمة كيتو Quito، ليجد أن (بيزارو) قد سبقه إليها، مما جعله يعود ثانيةً إلى جواتيمالا.

في عام 1541 فكر (دي ألفارادو) في تجهيز حملة يتجه بها إلى شمال المكسيك، إلا أنه قُتل في حادث!!

تسلمت زوجته حكم جواتيمالا بعد موته، إلا أن حكمها لم يدم طويلًا، فقد ماتت في نفس العام نتيجة الانفجار البركاني الذي وقع هناك.

فاسكو نونيز دي بالبوا (1475-1519)،

قاد حملة استكشافية عبر برزخ بنما، وفي عام 1513 أصبح أول أوربي يلقي نظرة على المحيط الهادي!!

كان فاسكو نونيز دي بالبوا Vasco Nunez de Balboa وغدًا إسبانيًا خبيثًا، مثل كثير ممن وصلوا إلى العالم الجديد من المستكشفين.. يُعد الوصول إلى المحيط الهادئ أعظم إنجازاته.

دي بالبوا، أول أوربي يرى المحيط الهادئ

في عام 1501 كانت أولى خطواته إلى العالم الجديد، عندما أبحر على متن سفينة إمدادات،

رحلات (دي ألفارادو) إلى المكسيك وجواتيمالا

طافت بالعديد من الموانئ هناك، حتى توقفت عند قرية هندية بالقرب من ميناء دارين Darien (في بنما حاليًا).

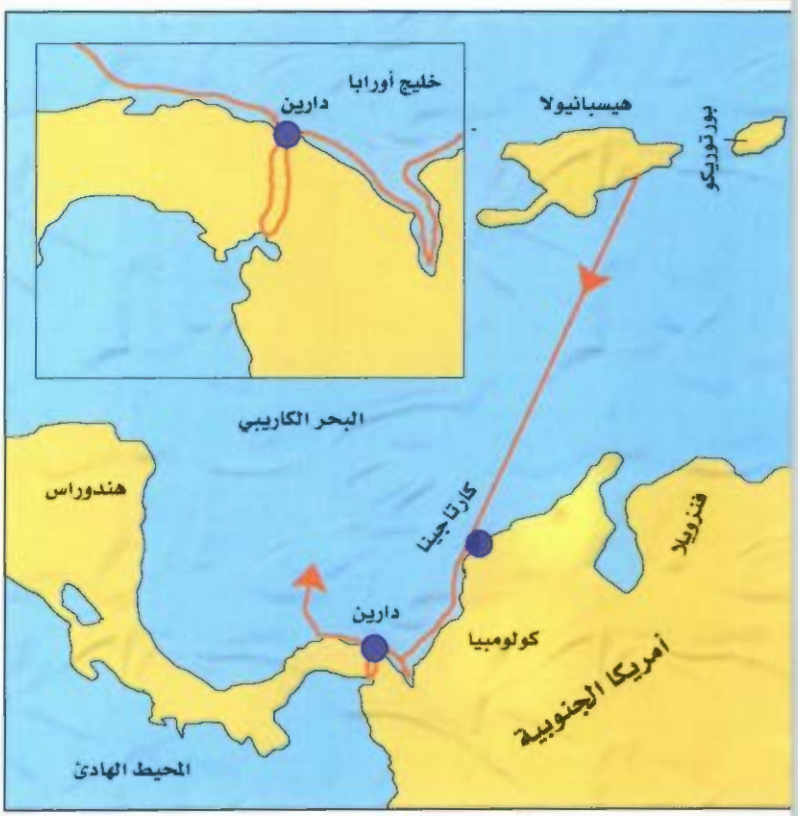

كان (دي بالبوا) صاحب مزارع في هيسبانيولا، إلا أنه سرعان ما تكاثرت عليه الديون، وحتى يهرب من دائنيه قام بتهريب حاجياته على متن سفينة إمداد أبحرت نحو سان سيباستيان San Sebastian (في كولومبيا).. وبينما كانت السفينة تقف في ميناء كارتاجينا Cartagena في كولومبيا، وصلت سفينة أخرى بقيادة فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizarro الذي أشاع أن الهنود قد هدموا مستوطنة سان سباستيان، فأبحروا للتحقق من ذلك، إلا أن سفينة الإمداد غرقت، وتمكن (بيزارو) من إنقاذ طاقمها.

أخبر (دي بالبوا) بيزارو عن دارين Darien، فأبحر بيزارو إلى هناك، وحارب سكانها من الهنود، وأسس مستعمرة مزدهرة، وفي عام 1511 أسس (دي بالبوا) مستعمرة إسبانية ثانية. أرسل الإسبان دياجو دي نيكوسا Diego de Nicuesa ليحكم تلك المستعمرات الإسبانية، إلا أن (دي بالبوا) ظل يعمل كحاكم غير شرعي لها لمدة سنتين، وفي تلك الأثناء سمع من الهنود عن المياه العظيمة Great Waters الموجودة باتجاه الغرب، مما جعله يطلب الإمدادات من التاج الإسباني للقيام برحلة استكشافية إلى هناك.

إلى المياه الضخمة:

في الأول من سبتمبر عام 1513 أبحر (دي بالبوا) وبيزارو في أسطول صغير ومعهما 190 إسبانيًا، وعدد من كلاب الصيد، ومجموعة من الحمالين الهنود.. وبالصدفة البحتة وصلت الحملة إلى أضيق منطقة في برزخ بنما.. وهناك ترك (دي بالبوا) نصف القوة لحراسة السفن، وقاد الباقين باتجاه الجنوب مخترقًا الأدغال الموحشة، وبعد ثلاثة أيام وصل إلى قرية هندية، استعان بأهلها ليرشدوه إلى تلك المياه العظيمة.. وبعد عدة أيام وصل برجاله إلى حافة جبال Sierra de Quareca، وهناك قام (دي بالبوا) بقتل وتشويه كل من تمكن من الإمساك به من الهنود!

استمر الغزاة الإسبان بقيادة (دي بالبوا) في التقدم خلال الجبال، حتى وصل إلى هضبة، اخترقوها وواصلوا تقدمهم حتى بدا لهم البحر (المحيط الهادئ) جهة الغرب.. وكان (دي بالبوا) أول أوربي يلقي نظرة على هذا المحيط، أو (المياه الضخمة) كما كان يسميه الهنود، وهناك وقف وأقام نصبًا تذكاريًا يعلوه الصليب، إعلانًا بضم هذه الأرض إلى التاج الإسباني ودخولها في المسيحية.

واصل (دي بالبوا) تقدمه برجاله نحو شاطئ المحيط، وهم يرفعون العلم الإسباني، ويفتكون بمن يلاقونهم من الهنود!!

عاد (دي بالبوا) برجاله إلى سفنهم من طريق مختلفة لتجنب غارات الهنود، وفي الطريق قابل (دي بالبوا) زعيمًا محليًا يُدعى توباناما Tubanama (من الممكن أن يكون اسم بنما Panama اشتق من هذا الاسم) حيث اعتقله دي بالبوا وطلب فدية كبيرة لإطلاق سراحه.

في 18يناير عام 1514 وصل (دي بالبوا) إلى دارين ليجد أن التاج الإسباني قد أرسل بدرو أرياس دي أفيلا Pedro Arias de Avila ليكون حاكمًا للمنطقة.. الذي لم يكن على علاقة طيبة مع (دي بالبوا) وتأكد ذلك بعدما قام (دي بالبوا) بإنشاء مستعمرة صغيرة بالقرب من مدينة لابالما La palma، في بنما، لبناء السفن ومواصلة استكشافاته هناك.

فكر (دي أفيلا) في التخلص من (دي بالبوا)، فأرسل بيزارو لإحضاره والعودة إلى دارين Darien، حيث وجه إليه تهمة الخيانة.. وفي 21 يناير 1519 قطعت رأس دي بالبوا!!

(بيزارو) مكتشف البيرو، ومدمر حضارة الإنكا.

فرانسيسكو بيزارو (1475 - 1541)،

مكتشف بيرو، ومدمِّر حضارة الإنكا.

لم يكن شعب الأزتك هو الوحيد في القارة الأمريكية الذي يتميز بحضارة عريقة، فقد كان هناك أيضًا شعب الإنكا Inca الذي لا يقل حضارة عن شعب الأزتك، بل قد يفوقه.

وشعب الإنكا من الهنود الأمريكيين (الهنود الحمر) الذين عاشوا في أمريكا الجنوبية، وحكموا أغنى وأكبر الإمبراطوريات القديمة في الأمريكتين.

بدأت تلك الإمبراطورية في التوسع حوالي عام 1438، وامتدت أراضيها إلى ما يزيد على 4000 كيلومتر على طول السواحل القريبة لأمريكا الجنوبية، وكانت عاصمتها في مدينة كوسكو Cuzco، التي تقع الآن جنوب بيرو.

كانت حضارة الإنكا حضارة زاهرة، تفوق في عظمتها العديد من حضارات أوربا، حيث اهتم شعب الإنكا بإنشاء الطرق التي تربط بين أجزاء الإمبراطورية، وكذا المنشآت المعمارية الضخمة والفخمة، بالإضافة إلى الصناعات المعدنية من الذهب والفضة وغيرهما.

هذه الحضارة العريقة تم تدميرها على يد الإسباني فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizarro، خدم بيزارو في الجيش الإسباني قبل أن يبحر إلى غرب الإنديز عام 1502.. حيث عاش في جزيرة هيسبانيولا، التي كانت تُعد القاعدة الإسبانية الرئيسية في العالم الجديد.

كان (بيزارو) ضمن رجال (دي بالبوا) عندما عبر مضيق بنما إلى المحيط الهادئ، وفي بنما اشتهر (بيزارو) وعلا شأنه، وأصبح الإسبان مهتمين بالأخبار التي ترد إليهم عن إمبراطورية للهنود غنية بالذهب والفضة، وتقع إلى الجنوب من بنما، إنها إمبراطورية الإنكا Inca.

في عام 1524 بدأ (بيزارو) حملته الأولى للبحث عن هذه الإمبراطورية، واتخذ مساعدًا له يدعي ديجو دي ألماجرو Diego de Almaro، ومعهما كاهن يُدعى هيرناندو دي لوكي.

سارت الحملة باتجاه الجنوب وقد واجهت طقسًا سيئًا بالإضافة إلى هجمات الهنود، مما أعاق تقدمها، وتأخر اكتشافها للإمبراطورية المنشودة التي تتمركز فيما يعرف الآن باسم (بيرو)، إلا أن الحملة تمكنت من الوصول إلى هناك عام 1527 وتأكد (بيزارو) من وجود الذهب والثروات الأخرى في تلك البلاد.

عاد (بيزارو) إلى إسبانيا أوائل عام 1528، حيث عينه الملك حاكمًا على بيرو.

وفي عام 1531 غادر (بيزارو) بنما ومعه 180 بحارًا، 37 حصانًا، وتمكن من تسلق الجبال الوعرة، وإخضاع العديد من المدن للسيطرة الإسبانية، حتى وصل إلى ما يعرف الآن باسم (الإكوادور)، ثم إلى بيرو وهناك أسس مدينة سان ميجل San Miguel (بيورا Piura حاليًا).. وفي عام 1523 وصل إلى كاجاماركا Cajamarca، حيث وقعت المعركة الشهيرة بين (بيزارو) ورجاله المدججين بالسلام من جهة، والإمبراطور أتاهولبا Atahulpa ورجاله من جهة أخرى.. أسر (بيزارو) الإمبراطور أتاهولبا، طلب (بيزارو) فدية قدرها ملء حجرة من الذهب والفضة مقابل إطلاق سراح الإمبراطور، ووافق الإمبراطور،

ودفع الفدية إلا أن (بيزارو) غدر به بعد ذلك وقتله، وقتل معه الآلاف من رجاله!

في عام 1533 تقدم (بيزارو) ورجاله جنوبًا نحو كوسكو Cuzco، أغنى مدن الإمبراطورية، واستولى عليها، وقتل هناك آلافًا من شعب الإنكا، وأجبر من بقى على قيد الحياة على دفع ما يملكون من ذهب وفضة.

في عام 1535 أسس (بيزارو) مدينة ليما Lima، وجعلها عاصمة له، ومن هناك انطلق العديد الحملات الإسبانية لاستكمال كشف الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية.

في عام 1538 نشأ نزاع بين (بيزارو) ومساعده (ألماجرو) حول حكم المنطقة الواقعة حول كوسكو، كان من نتيجته أن أعدم (ألماجرو).. وفي عام 1541 تمكن أنصار (ألماجرو) من قتل (بيزارو).

△ دمّر الإسبان حضارة الإنكا، التي تعد من أرقى حضارات العالم آنذاك.. قتل الآلاف من شعب الإنكا نتيجة الأمراض التي نقلها إليهم الإسبان، أما من بقي منهم على قيد الحياة فقد أجبروا على العمل في مناجم الذهب والفضة، ومات كثير منهم في ظروف عمل سيئة.. كان كل من الذهب والفضة يصهر ويستخدم في عمل النقود والسبائك وينقل إلى إسبانيا.. والآن يوجد في أمريكا الجنوبية قليل من سلالة الإنكا الذين يعيشون في مناطق معزولة، لهم تقاليدهم وثقافاتهم.. وفي الصورة يظهر أحد أفراد شعب الإنكا.

▽ معركة كاجاماركا: في عام 1532 وصل (بيزارو) إلى شمالي بيرو، ولم يكن معه سوى 170 جنديًا، 37 حصانًا، سار بالداخل حتى وصل إلى كاجاماركا، حيث كان الإمبراطور أتاهولبا وجيشه في انتظار (بيزارو)، قدّم الكاهن الإنجيل للإمبراطور، وعرض عليه الدخول في المسيحية، إلا أن الإمبراطور رفض ذلك، فما كان من (بيزارو) ورجاله إلا أن أسروا الإمبراطور، وقتلوا العديد من رجاله، ثم طلبوا فدية لإطلاق سراح الإمبراطور، ثم غدروا به وقتلوه هو الآخر!!

جاسبار وميجول كورتي- ريل
(1502-1460)، (1501-1450)،

لم يلق الأخوان جاسبار وميجول كورتي ريل Gaspar & Miguel Corte-Real من الاهتمام مثل ما لقى غيرهما من المستكشفين، وقد يرجع ذلك إلى أن رحلاتهما كانت تتم تحت ستار من السرية، كما أن تلك الرحلات لم تكن تختلف كثيرًا عن رحلات جون كابوت.

في عام 1500 قدّم الملاح البرتغالي جاسبار كورتي-ريل اقتراحًا لملك البرتغال مانويل الأول Manuel I للقيام برحلة إلى نيوفوندلاند Newfoundland والتي سبق أن وصلها جون كابوت عام 1497 قادمًا من إنجلترا.

لقد أثار اكتشاف كابوت فضول كل من الإسبان والبرتغاليين، وكان البرتغاليون أشد حماسة في متابعة اكتشاف تلك المنطقة، خاصة وأنها تقع في نطاق الممتلكات البرتغالية طبقًا لاتفاقية توردیسلاس Treaty of Tordesillas.

ولذا وافق ملك البرتغال على تجهيز حملة جاسبار وأمر بإبحارها سرًّا!!

الرحلة الأولى:

في صيف عام 1500 أبحر (جاسبار كورتي-ريل) من لشبونة في سفينتين، باتجاه الشمال الغربي، حيث وصل إلى الساحل الشرقي لجزيرة جرينلاند بعد رحلة شاقة.

دار (جاسبار) جنوبًا حتى وصل إلى أقصى جنوب الجزيرة عند رأس فيرويل Cape Farewell عند خط عرض 60 درجة شمالاً، وهناك وجد الإسكيمو يقومون بصيد الأسماك.. واصل جاسبار سيره نحو الشمال الغربي بمحاذاة ساحل الجزيرة حتى وصل خط عرض 63 درجة شمالاً، وهناك اعترضته الثلوج والطقس السيئ، مما أرغمه على العودة إلى لشبونة، دون أن يحقق هدفه بالوصول إلى تلك الأراضي التي وصلها كابوت.

الرحلة الثانية:

لم يثن فشل جاسبار في رحلته الأولى الملك مانويل الأول عن تحقيق أهدافه.. ففي العام التالي أمر بتجهيز حملة ثانية تتكون من ثلاث سفن على متنها 170 بحارًا، لقد أدرك جاسبار أن جرينلاند تقع شمال نيوفوندلاند بنحو 600 ميل، وأنه لو أبحر من هناك غربًا لتمكن من تحقيق هدفه والوصول إلى نيوفوندلاند.

أبحر جاسبار على رأس حملته في ربيع عام 1501 مصطحبًا معه في هذه الرحلة أخاه ميجول.. وصلت الحملة إلى رأس فيرويل، ثم اتجهت غربًا، كما خطط لها، وعبرت ما يعرف بمضيق ديفز.. كانت الرحلة هادئة، وتم الوصول بسلام إلى ذلك الساحل القاحل.. لقد وصل البرتغاليون الآن إلى ساحل لابرادور Labrador في كندا.

تتبع كورتي- ريل الساحل باتجاه الجنوب الشرقي ليكتشف أعدادًا كبيرة من الخلجان الصغيرة على طول الساحل.. وفي أثناء ذلك قابل كورتي-ريل جماعات من الإسكيمو، سألهم عن إمكانية السير إلى الغرب، إلا أنهم لم يفيدوه، وأخذ بعضًا منهم كرهائن!!

وصلت الرحلة إلى ما يعرف الآن بخليج هاملتون Hamilton Inlet في لابرادور، وواصل البرتغاليون إبحارهم بمحاذاة الساحل باتجاه الجنوب، إلى أن وصلوا إلى الساحل الشمالي من نيوفوندلاند، وعندما وصلوا إلى خليج بونافيستا Bonavista، وجدوا هناك كميات كبيرة من الأسماك.

استمرت الرحلة في الإبحار جنوبًا بمحاذاة

الساحل الشرقي من نيوفوندلاند. وعند ذلك قرر الأخوان (كورتي-ريل) أن يسلك كل منهما طريقًا مختلفًا.. فبينما قرر جاسبار الاستمرار في رحلته باتجاه الجنوب الشرقي للساحل متتبعًا رحلة كابوت التي قام بها عام 1497، قرّر ميجول العودة إلى لشبونة ومعه الأسرى من الإسكيمو.

وصل ميجول إلى البرتغال في أواخر عام 1501، أما جاسبار، ومن معه، فلم يُعرف عنهم شيء!!

في مايو من عام 1502 قام ميجول برحلة للبحث عن أخيه في سفينة واحدة، إلا أنه اختفى كذلك ولم يعثر له على أثر!!

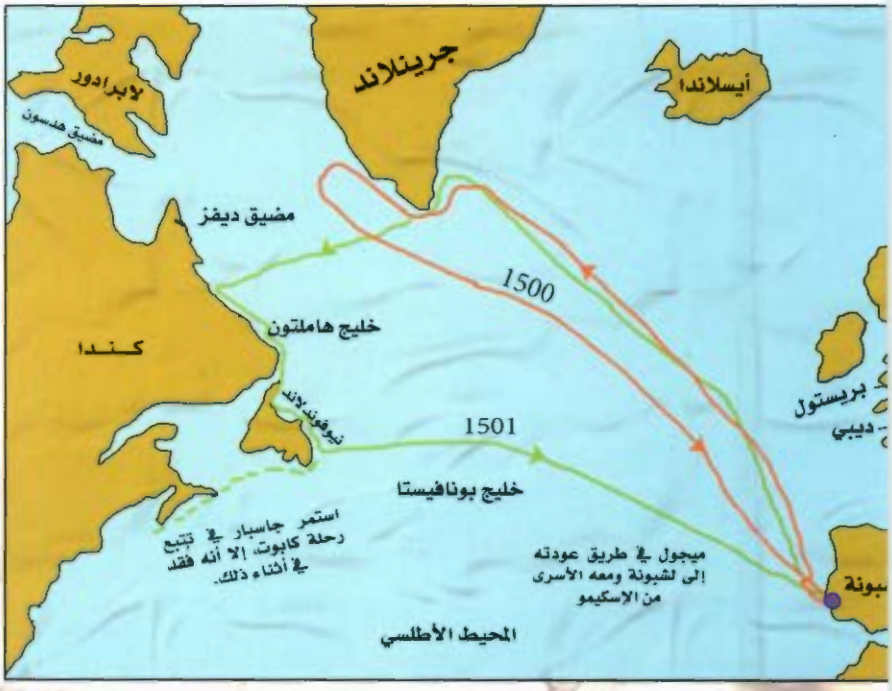

رحلات الأخوين (كورتي-ريل)

خوان بونس دي ليون 1460-1521

مكتشف فلوريدا بأمريكا الشمالية وأهم من دعّم الوجود الإسباني في تلك القارة، ومؤسس أول مستوطنة أوربية في بورتوريكو..

خدم خوان بونس دي ليون Juan Ponce de Leon في البلاط الملكي الإسباني قبل أن يبحر مع كولومبس في رحلته الثانية إلى أمريكا عام 1493.

في عام 1505 تطوع (دي ليون) للمشاركة في حملة نيكولاس أوفاندو Nicolas Ovando المتجهة إلى جزيرة هيسبانيولا (حاليًا هايتي وجمهورية الدومينكان)، وعين حاكمًا لغرب الجزيرة. وتميزت فترة حكمه بنشوب خلافات وقلاقل بين الإسبانيين والهنود سكان الجزيرة الأصليين.

في عام 1508 علم، مما يتناقله الهنود من روايات، أن هناك جزيرة غنية تقع باتجاه الشرق (جزيرة بورتوريكو الحالية).. فجهز حملة لاكتشافها واستعمارها لحساب إسبانيا، وهناك أسس مستعمرته في سان جيرمان San German، وهي أول مستعمرة (مستوطنة) أوربية في تلك المنطقة.

في مارس من عام 1513 أبحر (دي ليون) من بورتوريكو في ثلاث سفن باتجاه الشمال الغربي، مرورًا بجزر الباهاما، وعند أقصى الشمال من تلك الجزر رأى ساحلاً.. وهناك أخبره الهنود أنه في مكان ما باتجاه الغرب توجد أرض بها (ينبوع الشباب)، من شرب من هذا الينبوع استرد شبابه وعافيته!!

ظن (دي ليون) أن هذا الساحل الذي بدا له هو الأرض المقصودة، فنزل بها في 2 أبريل، وكان أول إسباني تطأ قدماه تلك المنطقة، والتي تبعد أميالاً قليلة شمال ما يعرف الآن باسم سانت أوجاستين St Augustine، كان الساحل هناك طويلاً ممتدًا تكثر عليه التلال الرملية.. أطلق دي ليون على تلك المنطقة اسم Tierra la Florida، وتعني أرض الزهور، أبحر (دي ليون) جنوبًا بمحاذات ساحل منبسط هادئ، حتى اكتشف الممر المائي الذي يفصل ما بين الباهاما وفلوريدا (قناة الباهاما)، واستمر في الإبحار باتجاه الجنوب الغربي ملتفًا حول جزر Florida Kays، التي أطلق عليها دي ليون اسم (Martyrs) Los Martyres، وعندما اتجه شمالاً اكتشف أن فلوريدا عبارة عن شبه جزيرة.

دار (دي ليون) مرة أخرى حول Los Martyres حتى وصل جزر Tortugas (Turtles)، ثم أبحر جنوبًا إلى مضيق فلوريدا، الذي عبره ليصل إلى ساحل كوبا.. ثم إلى بورتوريكو التي وصلها في سبتمبر عام 1513.

عاد (دي ليون) إلى إسبانيا عام 1514، حيث قلده الملك رتبة فارس، ومنحه حق إقامة مستوطنات (مستعمرات) في جزر Bimini (قبالة ساحل فلوريدا) وكذا في فلوريدا نفسها.

في فبراير من عام 1521 أبحر (دي ليون) من بورتوريكو ونزل في غرب فلوريدا، وهناك حاول تأسيس مستوطنة، مما أثار غضب السكان المحليين، فهاجموه ومن معه، وأصيب بجرح قاتل..وحمله أصحابه وأبحروا به عائدين، حيث مات في هافانا في يوليو من عام 1521.

جاك كارتييه (1491-1557)،

بحار فرنسي اكتشف كندا، وفي عام 1535 قاد أول بعثة أوربية في نهر سانت لورانس.

كان فرانسيس الأول يبحث عن بحار ماهر لقيادة حملة فرنسية لاكتشاف السواحل الأمريكية، وقد وقع اختياره على جاك كارتييه Jacques Cartier.

كان (كارتييه) بالفعل بحارًا ماهرًا، وفي عام 1524 كان قد التحق ببعثة بقيادة جيوفاني دا فيرازانو Giovanni da Verrazano.

في عام 1494 كان البابا قد وقع اتفاقية توردسيلاس Tordisillas، التي تقضي بتقسيم العالم الجديد بين إسبانيا والبرتغال، ومعنى ذلك أنه لا يحق لفرنسا، الاسكتشاف هناك.. إلا أنه تم تعديل هذه الاتفاقية عام 1533، وأصبح الاستكشاف حقًا لفرنسا، وغيرها من الدول، وتصبح الأرض المكتشفة ملكًا لمن يكتشفها ويصلها أولاً.. وكانت فرنسا متحمسة لأن يكون لها نصيب من الكعكة الأمريكية!!

في أبريل عام 1534 أبحر (كارتييه) بأمر من

جاك كارتييه مكتشف كندا وقائد أول بعثة أوربية في نهر سانت لورنس

الملك من St.Malo، في شمال فرنسا، في أسطول يتكون من سفينتين على متنهما 61 رجلاً.. كانت مهمته تهدف إلى الوصول إلى أماكن جديدة غنية بالمعادن، بالإضافة إلى اكتشاف طريق شمالي غربي يصل إلى الشرق الأقصى (من أمريكا الشمالية إلى المحيط الهادئ). بعد ثلاثة أسابيع وصل (كارتييه) إلى جزيرة نيوفوندلاند Newfoundland، التي كانت معروفة للصيادين الفرنسيين من قبل.. وهناك تسببت الكتل الثلجية الطافية في أن ينتظر كارتييه عدة أسابيع، بعدها أبحر بمحاذات الساحل باتجاه الشمال الغربي حتى وصل إلى مكان مهجور موحش كما وصفه في مذكراته.

في يونيو وصل كارتييه إلى مضيق جزيرة بيل Strait of Belle Isle، الذي يفصل بين نيوفوندلاند ولابرادور Labrador، عبر كارتييه المضيق إلى خليج سانت لورنس St.Lawrence.. وفي يوليو رست الحملة فوق أرض جزيرة برنس إدوارد Prince Edward، ثم أبحر غربًا فشمالاً مرورًا بخليج Chaleur.. واستمر في الإبحار شمالاً حتى نزل شبه جزيرة جاسبيه Gaspe، وهناك أقام صليبًا بارتفاع نحو 30 قدمًا إيذانًا بملكية فرنسا لها، وخضوعها للمسيحية.. ثم قصد جزيرة أنتيكوست Anticost وسط خليج سانت لورنس، وذلك قبل العودة إلى فرنسا.

كوبك ومونتريال Quebec and Montreal:

كان النجاح الذي حققه كارتييه في رحلته هذه دافعًا قويًا لأن يكلفه الملك بالقيام برحلة ثانية، وهذا ما تم بالفعل.

في مايو 1535 أبحر (كارتييه) مرة أخرى من St.Malo في أسطول يتكون من ثلاث سفن، وبعد سبعة أسابيع وصل إلى نيوفوندلاند، وفي هذه المرة تجنب السير بمحاذاة ساحل الجزيرة نظرًا لوعورته، ووصل مباشرة إلى مضيق جزيرة بيل.

في منتصف أغسطس، وبمساعدة السكان المحليين، تمكن كارتييه من اكتشاف المصب الضخم لنهر سانت لورنس، ثم أبحر فيه داخل القارة، لقد ظن أن هذا النهر هو الطريق المنشود الذي يبحث عنه للمرور باتجاه الشمال الغربي.. وهناك أخبره السكان أن هذا النهر يؤدي إلى مملكة أسطورية غاية في الثراء (مملكة Saguenay).

تابع كارتييه سيره مع النهر، وفي 8 سبتمبر وصل إلى Stadacona (ما يعرف الآن باسم كوبك Quebec)، وترك فيها بعض رجاله، واستمر في طريقه مع النهر بالبعض الآخر، حتى وصلوا إلى Hochelaga (ما يعرف الآن باسم مونتريال Montreal).

عاد كارتييه إلى كوبك ليلحق برجاله الذين كان قد تركهم هناك، وقد عانوا جميعًا من

الأمراض خلال فصل الشتاء، وكان كارتييه لا يزال يحلم باكتشاف أرض الأساطير الغنية بالثروات!!

رحلات جاك كارتييه ◀

المستعمرة الفرنسية الجديدة:

كان على (كارتييه) أن يعود إلى فرنسا للحصول على الدعم والمزيد من المساعدات والسفن والرجال.. وفي طريق عودته اختطف زعيم إحدى القبائل وبعض الهنود، وذلك ليسمع منهم ملك فرنسا ما يُقال عن أراضيهم ومدى ثرائها!!

وفي فرنسا سمع الملك ما أثار فضوله وشحذ همته مما تحتويه هذه الأراضي من ذهب وتوابل وثروات ضخمة.. لذا أمر الملك بتجهيز حملة تالية، كانت أكبر حملة تحشدها فرنسا لهذا الغرض حتى ذلك الوقت، إلا أن الحرب الإسبانية أخرت قيام تلك الحملة حتى عام 1541.

جهز (كارتييه) خمس سفن، ونحو 1000 رجل من الجنود والبحارة والمستعمرين، إلا أنه في اللحظة الأخيرة رأى الملك فرانسيس الأول تعيين جان فرانسوا دي روبرفال Jean Francois de Roberval قائدًا للحملة، وأبحر معه كارتييه كرجل ثان (مساعد).

غادرت الحملة فرنسا في شهر مايو، وسرعان ما واجهت العديد من المشاكل، لقد انفصل (روبرفال) مع ثلاث سفن عن بقية الحملة، بينما استمر كارتييه في السير ببقية السفن حتى وصل إلى Stadacona (كويك) في أواخر أغسطس.

رأى (كارتييه) ضرورة تأسيس مستعمرة فرنسية بعيدًا عن تلك القرية التي نزل بها، وأمر جنوده ورحالة من المستعمرين بالبقاء هناك للعمل على تنمية هذه المستعمرة Charlesbourg Royal.. بينما أبحر هو مع بعض رجاله لاستكشاف المزيد من المناطق المجاورة.

وصل (كارتييه) ومن معه إلى المنحدرات ومساقط المياه حول Hochelaga (مونتريال)، إلا أنهم فشلوا في الوصول إلى نهر أوتاوا، الذي كان يعتقد أنه الطريق الموصل إلى مملكة Saguenay الثرية.. لقد حالت تلك المنحدرات دون تقدمهم، لذا قرر كارتييه العودة إلى مستعمرة Charlesbourg Royal، وهناك وجد حربًا شرسة قد نشبت بين الهنود (السكان المحليين) والفرنسيين، مما أجبر (كارتيه) على التخلي عن تلك المستعمرة، وأبحر برجاله على متن سفينتين في نهر سانت لورنس، وعندما وصل إلى St.John في نيوفوندلاند وجد هناك (روبرفال)، الذي أمره بالعودة إلى المستعمرة، إلا أن كارتييه رفض ذلك الأمر، وانسلَّ ذات ليلة واستقل مع رجاله سفينتين، وعادوا إلى فرنسا.

وفشل روبرفال في الوصول إلى المستعمرة مما اضطره إلى العودة إلى فرنسا عبر المحيط الأطلسي، ليصلها في سبتمبر 1543.

أما كارتييه فقد عاش في عزلة داخل ممتلكاته الخاصة التي منحه إياها الملك بعيدًا عن St.Malo، حتى مات في سبتمبر 1557، وذهبت معه أحلامه في الوصول إلى أراضي مملكة Saguenay الأسطورية!!

ويلوباي وريتشارد تشانسلور

هـ.ويلوباي Hugh Willoughby (1516 - 1554)، ريتشارد تشانسلور Richard Chancellor (1520 - 1556) مغامران وبحاران بريطانيان، كان لهما رأى مختلف في البحث عن الممر الشمالي المؤدي إلى الشرق، فبدلاً من الإبحار غربًا، كما كان يفعل من سبقهما، فضلا الإبحار شرقًا بمحاذاة الساحل الشمالي لروسيا.. كان الهدف واحدًا، وهو الوصول إلى ممر بحري يؤمن التجارة مع الشرق.

كان (ويلوباي) ضابطًا بالجيش البريطاني، إلا أنه لأسباب غير معروفة فقد تلك الوظيفة المرموقة عام 1550، وكان عليه أن يبحث له عن عمل آخر، في ذلك الوقت كان البرتغاليون يحتكرون التجارة مع الشرق بعد أن شيدوا الحصون والمراكز التجارية على طول الساحل الغربي لإفريقيا، وهذا ما دعا التجار ورجال المال البريطانيون إلى البحث عن طريق بديل.

لم يكن لدى (ويلوباي) أية خبرة سابقة بالبحر والملاحة، إلا انه رأى أنه قادر على قيادة بعثة استكشافية للبحث عن طريق بحري تجاري بديل شمالي أوربا.. وبالفعل تم تجهيز البعثة، آخذا في الاعتبار ملاحظات المستكشف البريطاني سباستيان كابوت Sebastian Cobot.. وبينما كان (ويلوباي) يتولى قيادة البعثة، تم تعيين (ريتشارد تشانسلور) كمرشد وبحار فيها.

في 10 مايو 1553 أبحرت البعثة في أسطول يتكون من ثلاث سفن.. وبعد شهرين، وبينما كانت السفن في بحر النرويج، تعرضت لعاصفة شديدة، أدت إلى بعثرتها..

أبحر (تشانسلور) على متن إحدى السفن نحو المكان المتفق عليه، وهوميناء فاردو Vardo في النرويج على بحر بارنتس، وهناك انتظر حتى تصل بقية السفن.. وأبحر (ويلوباي) بالسفينتين ودخل بهما بحر بارنتس، حتى وصل إلى جزيرتي نوفايا زمليا Novaya Zemlya.

△ صورة تخيلية توضح ويلوباي ورجاله. وقد ماتوا من شدة البرودة في تلك المنطقة من العالم وقد عثر عليهم الصيادون الروس.

نهاية مفزعة!!

تسربت المياه إلى داخل سفينة القيادة التي يقودها (ويلوباي) مما أجبره على التراجع إلى أن وصل مصب نهر أرزينا Arzina، بالقرب من مدينة مورمانسك Murmansk الحالية في شبه جزيرة كولا الروسية.. وهناك تسببت الثلوج وسوء الأحوال الجوية في توقف نشاط البعثة تمامًا.. كانت الإمدادات من الطعام كافية، إلا أن البحارة لم يكن لهم دراية بهذا الطقس السيئ، في المنطقة القطبية الشمالية..

ترى ماذا حدث لهم؟

في فصل الربيع التالي عثر الصيادون الروس على البحارة الإنجليز، وقد ماتوا متجمدين على متن سفينتهم، وكان (ويلوباي) من بينهم، وتم إعادة جثث هؤلاء البحارة إلى إنجلترا.

أما (ريتشارد تشانسلور) فقد انتظر فترة في فاردو، قبل أن يستمر في إبحاره على متن سفينته، حيث دخل البحر الأبيض في أوائل أغسطس، ثم اتجه نحو الجنوب حتى وصل مصب نهر دفينا Dvina، وهناك وجد الصيادين الروس عند مرفأ Kholmogory، حيث عقد معهم صداقات وتبادل معهم البضائع.. وهناك أمضى (تشانسلور) وبحارته فصل الشتاء، واستدعى لمقابلة القيصر الروسي إيفان الرهيب. مما كان له أثر كبير في تعزيز العلاقات التجارية بين روسيا وإنجلترا.. وكانت هذه أهم ثمار بعثة تشانسلور.

في أواخر عام 1555 قاد (تشانسلور) بعثة كشفية ثانية.. حيث أبحر من إنجلترا في سفينتين، لم يكن الهدف هذه المرة هو البحث عن الممر التجاري نحو الشرق، وإنما كان لتأسيس سوق تجارية بين موسكو وإنجلترا، وكذا تأسيس سفارة لبريطانيا في روسيا.

عاد تشانسلور إلى بلاده في الصيف التالي مصطحبًا معه السفير الروسي في إنجلترا، إلا أن سفينتهما تعرضت لعاصفة هوجاء في بحر الشمال.. تحطمت السفينة بالقرب من ساحل أسكتلندا، وغرق تشانسلور ومعظم بحارته بينما نجا السفير الروسي.

مارتن فروبيشر (1540 - 1595)،

ملاح إنجليزي ماهر، وقرصان مشهور، من رجال الملكة إليزابيث، قام بالعديد من الغارات الجريئة ضد الإسبان.

وُلد (فروبيشر) في شمال إنجلترا، وعمل في البحر منذ أن كان عمره 13 عامًا، وكانت أولى رحلاته مع حملات لتجارة العبيد، وفي واحدة منها أسره بعض رجال القبائل الإفريقية، إلى أن أطلق البرتغاليون سراحه.

قاد مارتن فروبيشر Martin Frobisher ثلاث حملات استكشافية في محاولة للوصول إلى الممر الشمالي الغربي، الذي يصل بين المحيطين الأطلسي والهادئ شمالي كندا.

وبينما كان فروبيشر في العشرينيات من عمره، قام بالعديد من الهجمات وأعمال القرصنة ضد السفن الفرنسية والإسبانية، وقد لاقت هذه الأعمال غير الشرعية تشجيعًا من الملكة إليزابيث، التي كافأته عام 1571، مما جعله يتوسع في هذه الأعمال لحسابه الخاص!!

مارتن فروبيشر الملاح والقرصان الشهير

ونظرًا لبعض المتغيرات السياسية، فقد بدأ (فروبيشر) في البحث عن وسائل أخرى للكسب.. إذ كان المستكشفون والجغرافيون يفكرون منذ فترة في كيفية التوصل إلى ممر مائي يخترق شمالي أمريكا الشمالية ليصل المحيط الأطلسي بالمحيط الهادئ.. لذا، عزم (فروبيشر) على تجهيز حملته الاستكشافية للوصول إلى هذا الممر.. كانت تلك الحملة تتكون من سفينتين: جابريل وميشيل Gabriel and Micheal بالإضافة إلى قارب صغير.

في يونيو 1576 أبحر (فروبيشر) شمالي جزر شيتلاند Shetland، ثم اتجه نحو جزيرة

جرينلاند، أجبرت العواصف الشديدة إحدى السفينتين Micheal على العودة إلى إنجلترا، بينما فُقد القارب الصغير في البحر، أما فروبيشر فقد وصل إلى ساحل جرينلاند ومعه 18 رجلاً.

تعرضت السفينة الثانية Gabriel للخطر، عندما هبت عاصفة ثانية أودت بصاريها، وكادت تغوص في أعماق المحيط، واتجه فروبيتشر إلى مياه مجهولة، لم يكن يعرف شيئًا من واقع الخرائط التي يسير على هداها!!

في إغسطس 1576 رأى (فروبيشر) جزيرة بافن Baffin، (وهي جزيرة كبيرة شمالي ساحل اللابرادور الكندي).. وهناك وجد مدخلاً ظن أنه بداية المضيق (الممر المائي) المؤدي إلى المحيط الهادئ، الذي يبحث عنه، وبدأ في تتبعه واكتشافه، وهناك قابل بعض السكان من الإسكيمو.

هدسون.. مضيق الصدفة!!

قاد الإسكيمو (فروبيشر) خلال قناة تعرف الآن باسم خليج فروبيشر Frobisher Bay.. وما حدث بعد ذلك غير واضح، إلا أنه من المحتمل أن تكون مجموعة من البحارة ذهبوا مع المرشدين المحليين للاستكشاف، وحدث بينهم صراع أدى إلى قتل تلك المجموعة.

تأزمت الأمور، وفكر (فروبيشر) في العودة إلى إنجلترا، وبالفعل عاد ومعه 13 رجلاً.

في العام التالي تم تجهيز رحلة ثانية قادها (فروبيشر) إلا أنها لم يختلف عن سابقتها، وعاد فروبيشر خالي الوفاض إلاّ من بعض عينات من صخور المعادن ظن أنها تحتوي على الذهب، إلا أنها كانت عديمة القيمة!

رأى (فروبيشر) أن يقوم برحلة ثالثة بعد أن اقتنع باحتمال وجود الذهب في صخور جزيرة بافن Baffin، وقد تكفلت بتجهيز هذه الرحلة شركة كاثي Cathay Company.. وفي صيف عام 1578 عاد (فروبيشر) إلى بافن، إلا أنه أخطأ مضيق فروبيشر بسبب الضباب الكثيف، فدخل ما يعرف الآن بمضيق هدسون Hudson strait، ولذا أطلق عليه Mistaken Strait، ومضى في استكشافه، إلا أن الشركة الممولة رأت أن تدعم بأموالها حملة للتنقيب عن المعادن وليس حملة استكشاف.

عاد (فروبيشر) إلى مرساه الذي وصله قبل سنتين، واستخلص عينات من صخور معدنية ظنًا منه أنها تحتوي على الذهب، وعاد بها إلى إنجلترا عن طريق جرينلاند، ليجد أن هذه الصخور لا قيمة لها، ولا أثر للذهب فيها!

لقد فشل (فروبيشر) في رحلاته، لذا قرر أن يعود إلى سابق عهده وممارسة أعمال النهب والقرصنة، وظل على مدى عشر سنوات تالية يهاجم السفن الإسبانية، وكان قد منح لقب فارس بعد أن شارك في تدمير الأرمادا الإسبانية عام 1588.

مات فروبيشر بعد معركة مع الإسبان عام 1594، وماتت معه أحلامه في اكتشاف الممر الشمالي الغربي الذي يصل المحيطين الأطلسي والهادئ شمالي أمريكا الشمالية، إلا أن رحلاته مهدت الطريق لمن جاء بعده لاكتشاف ذلك الطريق.

رحلات فروبيشر ومحاولاته لاكتشاف الممر الشمالي الغربي.

سير فرانسيس دريك (1540 - 1596)،

ملاح بريطاني ماهر، أول بريطاني يبحر حول العالم، وكانت رحلته هي ثاني رحلة حول العالم بعد رحلة ماجلان، اشتهر بأعمال القرصنة والنهب، كان له الفضل الأكبر في تدمير الأرمادا الإسبانية، مما جعل إنجلترا قوة بحرية عظمى!!

اشتهر سير فرانسيس دريك Sir Francis Drake بغاراته ونهبه للسفن الإسبانية في المحيط الأطلسي والبحر الكاريبي.. واحتل مكانة رفيعة بين أشهر بحارة القرن السادس عشر!!

أبحر دريك مع جون هاوكنز John Hawkins في بعثات إلى إفريقيا وجزر الكاريبي بغرض تجارة الرقيق.. كان ذلك في عامي 1566-1567.

فرانسيس دريك، أول بريطاني يبحر حول العالم

وفي عام 1570 ترأس أول بعثة لأعمال القرصنة في البحر الكاريبي، ثم تكررت بعثاته وغاراته، ليعود منها محملاً بالغنائم والأسلاب.

كانت بريطانيا في ذاك الوقت في حالة سلام مع إسبانيا، وبالتالي فقد كانت هجمات دريك على السفن والمستعمرات الإسبانية من أعمال القرصنة التي يعاقب عليها مرتكبوها.. لذا فقد اختفى دريك لمدة عامين هربًا من العقوبة.

في عام 1577 حصل دريك على عفو من الملكة إليزابيث الأولى، وكانت قد عزمت، سرًّا، على تجهيز بعثة جديدة تجمع بين البحث والتنقيب وأعمال القتال والقرصنة، وأسندت قيادتها إلى (دريك).

خطط (دريك) لأن يبحر من خلال مضيق ماجلان، ثم يعبر إلى المحيط الهادئ، في عمل بطولي لم يقم به رجل إنجليزي من قبل.. كان دريك يهدف من هذه الرحلة إلى سلب ونهب الموانئ الإسبانية التي تفتقد إلى الحراسة.. وكان لابد أن تظل تفاصيل هذه الرحلة في سرية تام!!

في ديسمبر 1577 أبحر دريك من ميناء بليموث Plymouth، في بريطانيا، على متن بارجته The pelican (أي البجعة) والتي أعاد تسميتها The Golden Hind (أي الأيلة الذهبية)، ومعه أربع سفن أخرى.. وقد أشاع بين بحارته أنه يريد الوصول إلى مصر، ولذا تعجب البحارة عندما مروا بجبل طارق ولم يدخلوا البحر المتوسط، بل اتجهوا بمحاذاة ساحل إفريقيا الغربي حتى وصلوا إلى جزر الرأس الأخضر، وفي الطريق قام دريك بتدمير سفينة برتغالية وشجع رجاله على نهبها!

قاد دريك أسطوله الصغير في المحيط الأطلسي باتجاه الجنوب الغربي حتى نزل بالبرازيل في أبريل 1578.

أعمال القرصنة في المحيط الهادئ:

أبحر دريك جنوبًا بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية، وعند رأس هورن Cape Horn، هبت عاصفة قوية أغرقت بعض السفن، وأجبرت البعض الآخر على العودة.. أما دريك فقد واصل إبحاره ببارجته الخاصة باتجاه الشمال بمحاذاة الشمال الغربي لأمريكا الجنوبية، حتى وصل ميناء فالباريسو Valparaiso (في شيلي)، فأغار عليه ونهبه، وفي مارس 1579 هاجم دريك السفينة الإسبانية Cacafuego التي كانت محملة بالذهب والفضة، واستولى على كنوزها.. وواصل إبحاره بمحاذاة الساحل حتى وصل جزيرة فانكوفر Vancouver (كندا)، ثم عاد مرة أخرى باتجاه الجنوب ليهبط فيما يعرف الآن بولايتي أوريجون Oregon وكاليفورنيا Calefornia الأمريكيتين، وأطلق على المرسى الذي نزل به في كاليفورنيا اسم (خليج دريك) ويقع الآن شمالي سان فرانسيسكو، وادعى ملكية إنجلترا لهذه المنطقة والمناطق الداخلية المجاورة لها وأسماها New Albion.

في يوليو من عام 1579 قرر دريك العودة إلى بلاده بالإبحار غربًا عبر المحيط الهادئ، وعلى مدى شهرين لم يشاهد البحارة أرضًا، حتى وصلوا جزر كارولين Caroline، وهناك منعهم السكان من النزول بأرضهم.. واصل دريك إبحاره حتى وصل إلى جزيرة ميندانا Mindanao (الفلبين)، ثم اتجه جنوبًا بحثًا عن جزر التوابل الأسطورية (إندونيسيا).

عاد دريك إلى بليموث في سبتمبر 1580، بعد رحلة استمرت نحو ثلاث سنوات، وكانت هذه الرحلة سببًا في شهرته وثرائه، وإعجاب الملكة به، فمنحته رتبة فارس (لقب سير) عام 1581.

بعد أربع سنوات استأنف (دريك) حروبه ضد الإسبان، والغارة على سفنهم.. وفي عام 1588 لعب دورًا أساسيًا في تدمير الأرمادا الإسبانية، ذلك الأسطول البحري الإسباني الذي حاول غزو بريطانيا.. وبتدميره أصبحت بريطانيا قوة بحرية عظمى، وأصبح دريك بطلًا قوميًا في بريطانيا.

في عام 1596 داهمت الدوسنتاريا دريك ولم تمهله طويلًا حتى مات.. ويوم أن مات أقيمت الأفراح والاحتفالات في إسبانيا، بينما عم الحزن أرجاء بريطانيا!

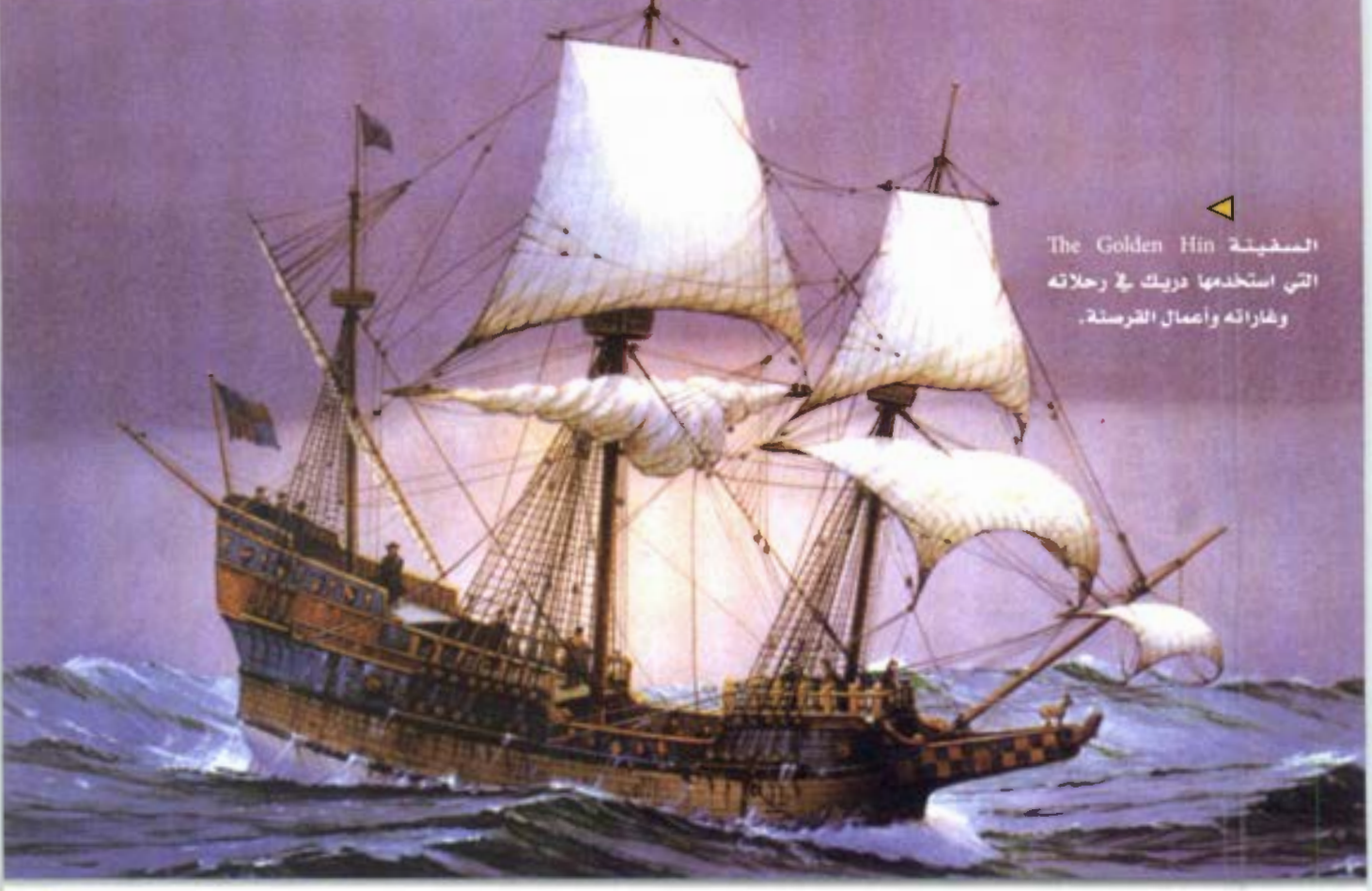

السفينة The Golden Hin التي استخدمها دريك في رحلاته وغاراته وأعمال القرصنة.

جون ديفيس (1550-1605)،

كان جون ديفيس John Davis صديقًا للجندي والمستكشف الإنجليزي الشهير والتر رالي Walter Raleigh، مؤسس أول مستعمرة بريطانية في أمريكا الشمالية.

شارك ديفيس، وهو في سن مبكرة، في العديد من الرحلات البحرية، سواء تلك التي مارست أعمال القرصنة، أو الأعمال التجارية، مما أكسبه خبرات كبيرة في أعمال البحر والسفن، حتى تمكن من اختراع ما يعرف بربعية ديفيس Davis Quadrant، وهي أداة تستخدم في الملاحة لقياس الارتفاع الزاوي.

شارك ديفيس كلًا من رالي وأدريان جلبرت Adrian Gilbert (شقيق المستكشف همفري جلبرت Humphrey Gilbert) في تأسيس شركة تجارية بدعم من الرياضي جون دي John Dee، ووزير الخارجية سير فرانسيس والسنجهام Sir Francis Walsingham، وبعض رجال المال والأعمال البريطانيين.. وكان الهدف الأساسي من إنشاء هذه الشركة هو البحث عن الممر الشمالي الغربي المؤدي إلى المحيط الهادئ، وضمان احتكار هذا الممر كطريق تجاري.

في أوائل يونيو 1585 أبحر ديفيس من دارتموث Dartmouth (في المملكة المتحدة على القنال الإنجليزي)، في أسطول يتكون من سفينتين صغيرتين هما سنشاين Sunshine (ضوء الشمس)، مونشاين Moonshine (ضوء القمر).. وفي 20 يوليو شاهد الساحل الشرقي لجزيرة جرينلاند، ثم سار جنوبًا بمحاذاة ساحل الجزيرة عند طرفها المستدق الذي أطلق عليه اسم Cape Desolutin (رأس فيرويل حاليًا).. ثم اتجه بمحاذاة الساحل الغربي للجزيرة حتى نزل عند مضيق صغير أطلق عليه مضيق جلبرت Gilbert Sound (جوتهوب Godthab حاليًا).

في الأول من أغسطس اتجه ديفيس غربًا نحو جزيرة بافن Baffin، ونزل شمالي خليج فروبيشر عند مدخل ما يعرف الآن بمضيق كومبرلاند

Cumberland sound. ظن ديفيس أنه قد وصل إلى الممر الشمالي الغربي الذي يبحث عنه، إلا أنه لم يتمكن من مواصلة استكشافاته بسبب الثلوج التي اعترضت طريقه وأجبرته على العودة إلى بلاده.

في العام التالي قاد ديفيس حملته الثانية، وقد أضاف إلى أسطوله سفينة ثالثة هي The Mermaid (وتعني حورية الماء)، ومركب صغير، واتجه مباشرة نحو مضيق جلبرت، حيث كان. في رحلته السابقة، قد أقام صداقات مع سكان تلك المنطقة من الإسكيمو.. وهناك أرسل سفينتين لاستكشاف الساحل الشرقي لجزيرة جرينلاند في محاولة لإيجاد ممر خلال الثلوج القطبية الشمالية، إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل، وعادت السفينتان إلى إنجلترا.. فيما قام (ديفيس) ومعه السفينتان The Mermaid, The Moonshine باستكشاف المياه بين جزيرتي جرينلاند وبافن، التي سُميت بمضيق ديفيس.. أثرت الثلوج المتراكمة في استمرار (ديفيس) وبحارته في أعمالهم، مما دعا (ديفيس) أن يعيد السفينة The Mermaid إلى إنجلترا، وعلى متنها البحارة الذين رفضوا الاستمرار في البحث.

لم يتم التوصل إلى الهدف المنشود، ولذا عادت السفينة The Moonshine إلى إنجلترا قبل الشتاء، وقد ملئت مخازنها بالأسماك. كان ديفيس في كل تحركاته، يسجل ملاحظاته بدقة، مما جعله صاحب أول سجل للكشوف في الدائرة القطبية الشمالية.

الرحلة الثالثة:

في عام 1587 قام ديفيس برحلته الثالثة، في أسطول يتكون من ثلاث سفن، اثنان منها كان هدفهما إنشاء مركز للصيد في خليج جلبرت، بينما أبحر (ديفيس) ومعه مجموعة من بحارته ذوي الخبرة لاستكشاف ساحل جزيرة جرينلاند، حتى وصل قريبًا من خط عرض 70 درجة شمالاً، وهناك لم يستطع التقدم باتجاه الشمال بسبب الرياح العكسية والثلوج المتراكمة، وأطلق على هذه المنطقة اسم ساندرسون هوب Sanderson Hope (حاليًا أوماناك Umanak) ثم عبر مضيق ديفيس إلى مضيق هدسون Hudson Strait، ولم يكن يعلم أن تلك الكتلة الضخمة من المياه هي التي كان قد اكتشفها فروبيشر قبل ذلك بنحو تسع سنوات، وأطلق عليها الخليج الخطأ Mistaken Strait.

عاد ديفيس إلى إنجلترا، وأدى نشوب الحرب الإسبانية إلى منع قيام بعثات استكشافية جديدة في ذلك الوقت.. وظل الحال هكذا نحو 20 عامًا إلى أن جاء هنري هدسون Henry Hudson ليواصل استكشافات كل من ديفيس وفروبيشر.

شارك ديفيس في حملة تدمير الأرمادا الإسبانية عام 1588، مما جعله ينال إعجاب ورعاية الملكة إليزابيث الأولى.

في عام 1592 شارك ديفيس في حملة بقيادة توماس كافندش Thomas Cavendish، في محاولة جديدة لإيجاد مدخل للممر الشمالي الشرقي المؤدي إلى المحيط الهادئ، إلا أن كافندش مات في أثناء ذلك جنوبي المحيط الأطلسي.. وعاد ديفيس إلى إنجلترا مكتشفًا في طريق عودته جزر الفوكلاند Falkland.. أدت هذه البعثة إلى إفلاس ديفيس مما جعله يلتحق للخدمة في حملتين عسكريتين عامي 1596، 1597، قبل أن يلتحق بالعمل بأول البعثات الكشفية الهولندية بشرق الإنديز عام 1598.

بعد ذلك، قاد (ديفيس) أولى رحلات الشركة البريطانية في الهند الشرقية حتى قتل في أثناء هجوم مباغت لقراصنة يابانيين، عام 1605.

كان لإسهامات ديفيس أثر كبير في فهم

المنطقة الشمالية، مما جعله من أهم وأشهر البحارة في القرن السادس عشر.

ولكن.. ماذا عن والتر رالي؟

يعتبر والتر رالي Walter Raleigh و 1552-1618 من الشخصيات المهمة في التاريخ الإنجليزي، إذ كان جنديًا، ومستكشفًا، وشاعرًا، ومؤرخًا، ورجل أعمال.. واشتهر عنه أنه أول من أدخل زراعة البطاطس والتبغ في المستعمرات والجزر البريطانية.

في عام 1580 أصبح رالي ضابطًا بالجيش في أيرلندا، كان يتمتع بحظوة خاصة لدى الملكة إليزابيث، فمنحته إقطاعية في أيرلندا، كما منحته الحق في إقامة مستعمرات في أمريكا، بالإضافة إلى امتيازات تجارية خاصة.. وفي عام 1585 منح رتبة فارس (لقب سير).

شارك رالي في تدمير الأرمادا الإسبانية عام 1588.. وقاد حملة إلى أمريكا الجنوبية طمعًا في الحصول على الذهب.

بعد وفاة الملكة إليزابيث عام 1603، لم يثق الملك الجديد في رالي واتهمه بالخيانة، وأودع السجن نحو 12 عامًا، حيث كتب كتابه عن تاريخ العالم، وبعد أن أطلق سراحه قاد حملة جديدة إلى أمريكا الجنوبية، إلا أنه فور عودته أعدم بتهمة التمرد والعصيان!

رحلات جون ديفيس

الغزو الإسباني لأمريكا الشمالية

أدى الاستيطان الإسباني في البحر الكاريبي إلى هرولة الأوربيين إلى تلك المنطقة، واحتكاكهم بالهنود الحمر.. وعلى الرغم من أن أول المستوطنات الإسبانية الدائمة في القارة قد تأخر إنشاؤها حتى عام 1565، إلا أن الإسبان كانوا قد قاموا بالعديد من الحملات والبعثات الاستكشافية للمنطقة قبل ذلك التاريخ.

وإذا كانت الرغبة في تحقيق الشهرة وجمع الثروة من أهم دوافع هذه البعثات، إلا أنها، بجانب ذلك، أمكنت الأوربيين من التعرف على العالم الجديد، وطبيعة بلاده، وثقافات شعوبه.. فقد شقت بعثة (دي سوتو) طريقها خلال ما يعرف الآن بالولايات الجنوبية للولايات المتحدة، وفي أثناء ذلك اكتشفت نهر المسيسيبي وتعرفت بالعديد من شعوب المنطقة.

وعندما سمع الإسبان عن مدن الذهب الأسطورية جابوا الصحراء، واخترقوا الجبال بحثًا عن تلك المدن، وإن لم يجدوا فيها أثرًا للذهب، إلا أنهم تمكنوا من مسح جنوب ووسط القارة من المحيط الأطلسي شرقًا إلى المحيط الهادئ غربًا.

ألفار نونيز كابيزا دي فاكا 1490-1556

وُلد ألفار نونيز كابيزا دي فاكا Alvar Nunez Cabeza de Vaca في أسرة أندلسية تُعنى بالشئون العسكرية، إلا أنه لم يشتهر بكونه مستكشفًا مستقلًا، ومع ذلك فقد ساعدت إنجازاته وأعماله في كشف مساحات شاسعة جنوب قارة أمريكا الشمالية لأول مرة.

عندما كان عمره 20 عامًا شارك في بعض الحملات العسكرية إبان الحرب الإيطالية (1494-1529)، وفي عام 1512 شارك في معركة

رافينا Ravenna، وظل يخدم في كل من إسبانيا وإيطاليا حتى عام 1525.

عقب النصر الساحق لإسبانيا عام 1525 في معركة بافيا Pavia، فكر (دي فاكا) في الذهاب إلى العالم الجديد، وفي عام 1527 أبحر مع حملة بانفيلو دي نارفيز Panfilo de Narvaez، وفي ترينداد تعرضت سفينته لإعصار شديد كاد يقضي عليه، حتى عثر عليه دي نارفيز وأنقذه من الهلاك. في أبريل من عام 1528 حطت البعثة فيما يعرف الآن بخليج تامبا Tampa، على شاطئ فلوريدا الغربي.

أرسل (دي نارفيز) سفنه لتلتقي ببقية البعثة التي كانت قد تخلفت، بينما قاد رجاله بنفسه نحو الداخل.. وبعد معاناة في داخل فلوريدا وجد الغزاة الإسبان أنهم قد نسوا مكان اللقاء، وجنحوا إلى شاطئ خليج المكسيك، أمر (دي نارفيز) رجاله ببناء زوارق صغيرة، وفي أواخر سبتمبر بدأ الأسطول الصغير رحلته غربًا على طول ساحل الخليج قاصدًا إسبانيا الجديدة (المكسيك حاليًا)، وقبالة دلتا نهر المسيسبي ضربت عاصفة قوية ذلك الأسطول الصغير وبعثرت سفنه!!

في نوفمبر تحطم زورقان، أحدهما كان يحمل (دي فاكا) في جزيرة جالفستون Galveston (في ولاية تكساس الحالية)، بينما فقدت الزوارق الثلاثة الأخرى، وكان (دي نارفيز) ضمن من فقدوا على متنها.. لم يعد مع (دي فاكا) سوى 90 رجلًا على قيد الحياة من أصل أكثر من 300 رجل بدأت بهم الرحلة.

أرشد السكان المحليون (الهنود) المستعمرين الإسبان عن زورقين من الزوارق المفقودة، أحدهما كان قد طرح على الساحل وقد ذبح من كان عليه من الأحياء.. أما الآخر فقد جنح إلى الشاطئ، وتمكن من كانوا على متنه من بلوغ الشاطئ إلا أنهم ماتوا جوعًا!!

تولى (دي فاكا) قيادة البعثة، وبينما كان يستعد للسير جنوبًا على طول الشاطئ باتجاه إسبانيا الجديدة، داهمه المرض، وكانت تربطه علاقات حميمة بالسكان الهنود، لذا فقد ساعدوه في إتمام رحلته، ولما شفي من مرضه اعتقد الهنود أن (دي فاكا) يمتلك قوة سحرية خارقة، وأشاعوا ذلك بين القبائل التي صادفوها.. وصل (دي فاكا) برفقة الهنود إلى ولاية تكساس الحالية، حتى بلغوا نهر ريو جراند Rio Grande، وبعد فترة عبروا النهر ودخلوا إسبانيا الجديدة.

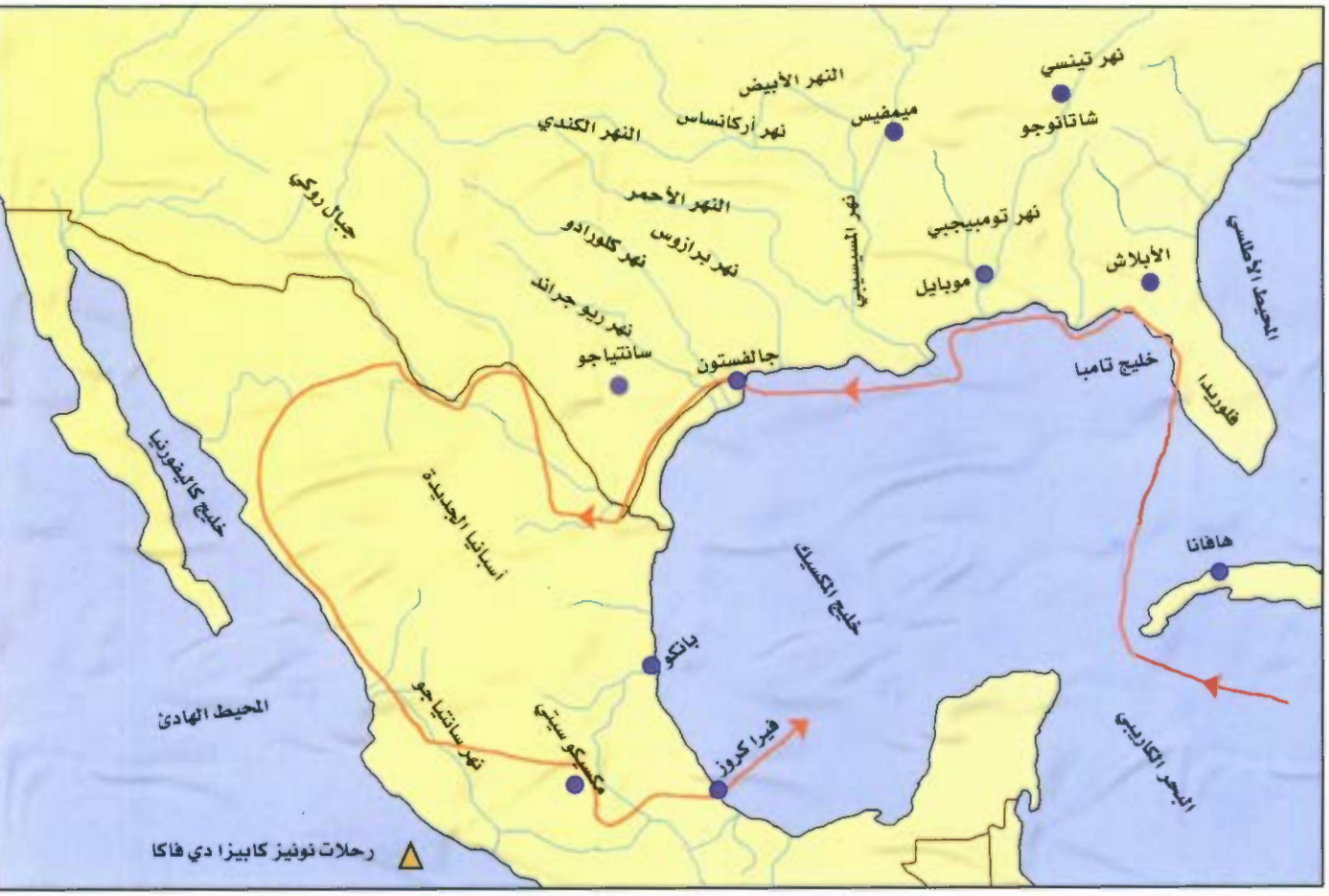

في عام 1534 التقى (دي فاكا)، مصادفة، مع الأوربيين الثلاثة الذين بقوا على قيد الحياة من مجموعة كانت قد سارت باتجاه الجنوب عام 1529، وهم أندريز دورانتس Andres Dorantes، ألونسو كاستيللو مالدونادو Alonso Castillo Maldonado، وستيفانيكو Estevanico، ورغبوا في التوجه شرقًا لتجنب مخاطر جبال سيرامادرا Sierra Madre، وكذا تجنب الاحتكاك بالقبائل المعادية، وصحبوا معهم بعض الهنود للعمل كمرشدين.

وصل (دي فاكا) إلى نيو مكسيكو وأريزونا حتى موضع قريب من مدينة فونكس Phoenix الحالية (عاصمة ولاية أريزونا)، ومن هناك اتجه نحو الجنوب الغربي حتى وصل خليج كاليفورنيا.

عاد (دي كافا) إلى إسبانيا وكتب مذكراته عن رحلاته في العالم الجديد، ونشرها عام 1542 تحت عنوان السفن الغارقة The Shipwrecks..

وكان قد عُين عام 1540 حاكمًا للمستوطنات الإسبانية في إقليم ريو دي لابلاتا (في باراجواي حاليًا)، إلا أنه جُرِّد من منصبه، وعزل ونفي بعد انقلاب أطاح به.. وعاش سنواته الأخيرة فقيرًا بائسًا إلى أن مات عام 1550.

هرناندو دي سوتو (1496-1542)،

مستكشف إسباني، اكتشف جنوب شرق الولايات المتحدة، ووصل نهر المسيسبي، وقام بأطول رحلة فيما يعرف الآن بالولايات الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية.

وُلد هرناندو دي سوتو Hernando de Soto فيما بين عامي 1496، 1501، وفي عام 1514، وبينما كان في سن مبكرة، سافر إلى العالم الجديد ضمن بعثة بدرو أرياس دي أفيلا Pedro Arias de Avila، الذي كان قد عُين حاكمًا على بنما خلفًا لفاسكو دي بالبوا Vasco de Balboa، منافسه العنيد، الذي كان يطمع في إقامة

مستوطنات خاصة به هناك، وتمكن دي أفيلا من إعدام دي بالبوا عام 1519.

وبينما كان هذا الصراع على أشده، كان الفتى الصغير (دي سوتو) يقضي فترة التدريب العسكري تحت إمرة دي فيلا، وكان معه في ذلك الوقت فرانسيسكو فرناندز دي كوردوبا Francisco Fernandez de Cordoba، الذي خدم معه (دي سوتو) فيما بين عامي 1524، 1527، في غزو ما يعرف الآن بهندوراس ونيكاراجوا.

في عام 1531 فضّل (دي سوتو) أن يلتحق بحملة فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizarro في غزو بيرو، ولهذا يعتبر (دي سوكو) ورفاقه من أوائل من اكتشفوا حضارة الإنكا، وقابلوا ملكهم أتاهوالبا Atahualpa.. وعلى مدى السنوات الثلاثة التالية غزا بيزارو المناطق الداخلية لإمبراطورية الإنكا، وأصبح (دي سوتو) الرجل الأول الموثوق به لدى بيزارو.

عاد (دي سوتو) إلى إسبانيا عام 1536، ومنحه الملك رتبة نبيل، وأصبح عضوًا في طبقة فرسان سانتياجو، وفي إسبانيا تزوج من ابنة معلمه وأستاذه (دي أفيلا)، وعلى الرغم من ثرائه، إلا أنه ظل يبحث عن الشهرة والمجد.

وتحقق له ما أراد فيما بعد ذلك، حيث عُيِّن حاكمًا على كوبا، ومنح الحق في اكتشاف وغزو فلوريدا واحتشد المتطوعون للانضمام تحت لوائه.

في أبريل من عام 1538 أبحرت بعثة (دي سوتو) وكانت تضم 350 من جنود المشاة، 200 من الفرسان، 12 قسيسًا لتحويل تلك المناطق من دينها الأصلي إلى الكاثوليكية.

أجرت البعثة استعداداتها النهائية في هافانا، وفي 18 مايو على 1539 أبحر (دي سوتو) ورجاله من كوبا باتجاه الشمال الغربي، ونزلوا على الساحل الجنوبي لما يعرف بخليج تامبا Tampa Bay (في فلوريدا بالولايات المتحدة، وهو جزء من خليج المكسيك بالقرب من مدينة برادنتون Bradenton الحالية) بعد رحلة استمرت نحو 12 يومًا.

وبالقرب من جزيرة Terra Ceia أسس الغزاة الإسبان معسكرًا في إحدى القرى الهندية، واستعدوا للتوغل نحو الداخل.. وفي الأسبوع الثاني من شهر يونيو 1539 تقدم (دي سوتو) برجاله نحو الشمال، إلا أن تقدمهم هذا كان شاقًا بسبب وعورة الأرض، لقد شقوا طريقهم بصعوبة عبر نهري Suwannee Santa Fe اللذين تحولا إلى سيول جارفة بسبب الأمطار الغزيرة، كما توعدهم سكان القرية التي أسسوا فيها معسكرهم، لذا فكر (دي سوتو) في مهاجمة قرى الهنود التي يصادفها في طريقه، وفي واحدة من تلك الهجمات أسر الإسبان خوان أورتيز Juan Ortiz الذي ظل على قيد الحياة لما بعد حملة بانفيلو دي نارفيز Panfilo de Narvaez، وعمل أورتيز مترجمًا لبعثة دي سوتو.

واصلت البعثة سيرها باتجاه الشمال حتى وصلت إلى مدينة تالاهاسي Tallahassee، عاصمة ولاية فلوريدا الأمريكية، حيث أمضت

(دي سوتو) اكتشف جنوب شرق الولايات المتحدة، وقام بأطول رحلة هناك.

الشتاء فيها.. وهناك أساء (دي سوتو) معاملة السكان الهنود وارتكب في حقهم أفظع الجرائم، حيث حطم مساكنهم، وقتل العديد منهم، واستخدم الباقين عبيدًا.. مما جعل هؤلاء العزل أن يخبروا (دي سوتو) بأن هناك مدينة غنية بالذهب تدعي Cofitachequi تقع باتجاه الشمال، وذلك اتقاء لشره!!

تزوّد (دي سوتو) بالطعام والشراب، وبدأ رحلة البحث عن الذهب في 3 مارس 1540، حيث اتجه برجاله نحو الشمال الغربي، ثم نحو الشمال، مكتشفين مجموعة من الأنهار، وعند نهر فلنت Flint أبحر الغزاة أعلى النهر عكس اتجاه التيار إلى ما يعرف الآن باسم جورجيا Georgia، ثم استمروا في سيرهم باتجاه الشمال الشرقي إلى نهر Ocmulgee، حيث تمكنوا من عبوره إلى أن وصلوا إلى ما يعرف الآن بمدينة ماكون Macon، بولاية جورجيا.

سار (دي سوتو) ورجاله نحو مدينة الذهب Cofitachequi، حتى وصلوا نهر سافانا Savannah جنوب مدينة أوجوستا Augusta الحالية بولاية جورجيا الأمريكية.

رحلات (دي سوتو) في جنوب شرقي الولايات المتحدة

أوهام الذهب!!

أرسلت ملكة Cofitachequi الزوارق الصغيرة لتساعد (دي سوتو) ورجاله في عبور النهر، وإرشادهم إلى العاصمة الهندية.. وهناك لم يجدوا أثرًا للذهب، إلا أن الهنود نصحوهم بمواصلة السير باتجاه الشمال الغربي، فيما وراء جبال الأبلاش، حيث الأراضي الغنية بالثروات!!

توغل (دي سوتو) ورجاله نحو ما يعرف الآن بولاية كارولينا الجنوبية، حتى وصلوا مدينة فرانكلين Franklin بولاية كارولينا الشمالية، ثم هبطوا نحو وادي نهر Tennessee عند ما يعرف الآن بمدينة شاتانوجا Chattanooga، وهناك أيضًا لم يجدوا أثرًا للذهب!!

اتجهت البعثة نحو الجنوب، حيث تقابل الغزاة الإسبان مع قبائل هندية ونشبت بينهم معركة حامية الوطيس، انتصر فيها الغزاة الإسبان، إلا أنه كان انتصارًا باهظ الثمن، فقد نفد طعامهم وذخيرتهم، وخارت قواهم، وأيقنوا أنه لا أمل في إمدادات جديدة في هذه المنطقة الموحشة!!

النهاية:

في أبريل من عام 1541، اتجهت البعثة نحو الغرب، وعبرت نهر يازو Yazoo، أعاقت المستنقعات تقدمها، وفي 8 مايو وصلت المسيسبي، تمامًا عند اتصاله برافده النهر الأبيض، عندما يعرف الآن باسم Rosedale.

بنى الإسبان 4 مراكب عبروا بها النهر، واستمر في الاتجاه غربًا حتى وصلوا نهر أركانساس Arkansas، ثم نهر سالين Saline عند مدينة ليتل روك Little Rock عاصمة ولاية أركانساس.

واجهت البعثة مصاعب عديدة في أثناء تقدمها، أهمها الغابات والمستنقعات، وجفاف فصل الصيف، وأصبح جيش دي سوتو في ظل هذه الظروف الصعبة لا يتعدى 300 رجل، وأقاموا معسكرًا على نهر Oachita عند قرية تولا Tula الهندية، وقضوا فيه شتاءً قاسيًا، ثم استأنفت البعثة رحلتها في 6 مارس 1542، حيث أبحرت عكس التيار في نهر Oachita باتجاه الجنوب الشرقي، حتى وصلت لويزيانا، وهناك توقفت تمامًا، وأصيب دي سوتو بالحمى، ومات في 21 مايو 1542 بالقرب من مدينة Natchez بولاية مسيسبي، وحتى لا يصل الهنود إلى جثمانه والفتك به، ألقاه رجاله في النهر بعيدًا عن أعينهم!

قاد لويس دي موسكوسو Luis de Moscoso البعثة باتجاه الغرب في محاولة للوصول إلى أراضي إسبانيا الجديدة (المكسيك حاليًا)، باءت المحاولة بالفشل على الرغم من وصولهم إلى نهر برازو Brazo في تكساس الحالية.

قضى الإسبان الشتاء على ضفاف المسيسبي، وخلال فترة إقامتهم بنوا المراكب التي أبحروا بها في النهر باتجاه خليج المكسيك بعد تتبع الساحل، أبحروا غربًا، حتى التقوا بالمستعمرين الإسبان في إسبانيا الجديدة عام 1543.

وعلى الرغم من أن (دي سوتو) ورجاله فشلوا في العثور على الذهب والثروات المزعومة، إلا أنهم قطعوا نحو 4000 ميل داخل ما يعرف الآن بالولايات الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية، يسجلون ملاحظاتهم، ويرسمون الخرائط، لذا كانت هذه الرحلة من أطول الرحلات، وساعدت الأوربيين كثيرًا في دراسة ومعرفة القارة الجديدة!

فرانسيسكو فاسكويز دي كورونادو:

Francisco Vasquez de Coronado (1510- 1554)

دي كورونادو. على الرغم من أنه فشل في الوصول إلى مدن الذهب السبعة، إلا أن رحلاته كانت من أنجح الرحلات في داخل قارة أمريكا الشمالية.

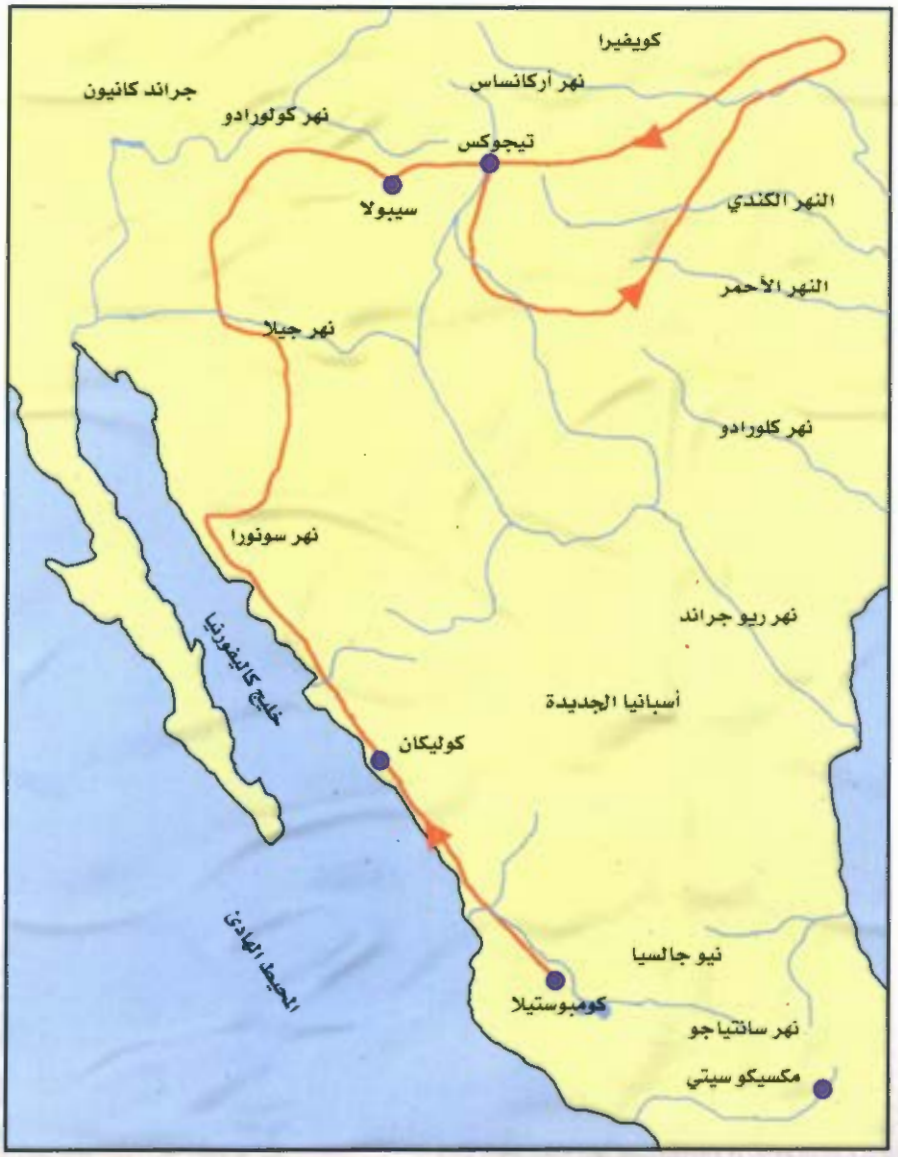

رحلات (دي كورونادو) في جنوب غرب أمريكا بحثا عن المدن الأسطورية السبع في سيبولا وكويفيرا.

مستكشف إسباني، بدأ رحلته للبحث عن المدن السبع التي قيل إنها غنية بالذهب والأحجار الكريمة، إلا أنه لم يجد شيئًا من ذلك، واصل رحلاته حتى وصل إلى أجزاء من ريوجراند وكنساس الوسطى.

في نحو العشرين من عمره، ترك (دي كورونادو) أسرته الأرستقراطية قاصدًا العالم الجديد بحثًا عن الشهرة والثروة، حيث وصل فيراكروز Vera Cruz عام 1535 ضمن مجموعة أنطونيو دي مندوزا Antonio de Mendoza نائب الملك في إسبانيا الجديد (المكسيك)، وتزوج هناك في العالم الثاني، كانت زوجته غنية، لها نفوذ في المجال السياسي.. ولم يمض زمن طويل حتى عينه نائب الملك حاكمًا على نيو جاليسيا New Galicia، إحدى المقاطعات المهمة في إسبانيا الجديدة على ساحل المحيط الهادئ.

في عام 1539 كان القس الإسباني ماركوس دي نيزا Marcos de Niza قد قاد بعثة استكشافية نحو الشمال، وهناك علم من الهنود بوجود سبع مدن غنية بالذهب والأحجار الكريمة، أطلقوا عليها اسم مدن سيبولا السبعة The Seven cities of Cibola.. وصلت هذه المعلومات إلى (مندوزا) فأمر (دي كورونادو) بتجهيز حملة للبحث عن هذه المدن، وإعلان ملكيتها لإسبانيا.

في يناير 1540 سار الغزاة الإسباني بقيادة (دي كورونادو) من كومبوستيلا Compostela، عاصمة نيوجاليسيا، نحو الشمال على طول ساحل خليج كاليفورنيا، في حملة تتألف 340 جنديًا إسبانيا، 300 حمال هندي، بالإضافة إلى العديد من العبيد وقطعان الماشية، ويرافقهم القس ماركوس.

وصل (دي كورونادو) إلى كوليكان Culiacan،

أهم مناطق إسبانيا الجديدة الحدودية، وهناك ترك بعض رجاله، ثم عزم على التقدم سريعًا حتى عبر نهر سونورا Sonora إلى أرض أريزونا Arizona في الولايات المتحدة ثم هبط إلى وادي نهر جيلا Gila، حيث يعيش الأباش Apache (أحد شعوب الهنود الحمر).

توجه الغزاة الإسبان نحو الشمال الشرقي حيث استولوا على أول مدينة من المدن السبع (مدن سيبولا)، وذلك في 4 يوليو عام 1540، وتقع الآن شمالي نيومكسيكو، وبدلًا من الذهب والثروة، وجد الإسبان أكواخًا بدائية من الطين تمثل قرى هنود الزوني zuni، وقد أرشدهم حراس القرية على المدن الستة الباقية، وبالفعل وصلها الإسبان ولم يجدوا فيها شيئًا، وعاد القس (ماركوس) إلى بيته حزينًا بعدما شعر بخيبة الأمل!!

حوّل (دي كورونادو) إحدى هذه المدن إلى معسكر لجنوده بعدما وصلت المجموعة التي كان قد تركها في كوليكان.. وخلال فصل الشتاء أرسل (دي كونادو) العديد من الفرق الكشفية لتفقد المناطق المجاورة، حيث اكتشفت إحدى هذه الفرق نهر كولورادو Colorado الذي يجري خلال جراند كانيون Grand Canyon، بينما اتجهت فرقة أخرى صوب الشرق وأعدت تقريرًا أكدت فيه وجود قرى كبيرة على طول نهر ريو جراند Rio Grande، وكانوا أول من يصل إلى هناك من الأوربيين، وأمضى (دي كورونادو) وجيشه شتاء عام 1540 في تيجوكس Tiguex، إحدى القرى الهندية هناك، وتقع شمالي مدينة البوكيركي Albuquerque الحالية، في نيو مكسيكو.

استمر (دي كورونادو) في إرسال فرقه الاستكشافية، وعلمت إحدى هذه الفرق من الهنود بوجود منطقة غنية بالذهب والحيوانات البرية، تقع جهة الشمال، وتسمى كويفيرا Quivira.. في 23 أبريل عام 1541 قاد (دي كورونادو) رجاله حتى عبر نهر بيكوس Pecos، ثم هبط إلى السهول، وهي منطقة براري شمالي تكساس الحالية، وهناك وقف الإسبان مندهشين عندما رأوا هذه المساحات الشاسعة من الأعشاب والحشائش، وكذا حيوان البيسون (الثور الأمريكي) الذي رأوه لأول مرة.. ولم يكن الهنود الحمر هناك يمتلكون ذهبًا أو أحجارًا كريمة، لذا عاد معظم أفراد البعثة إلى تيجوكس، بينما ذهب (دي كورونادو) ومعه 30 فارسًا إلى كويفيرا Quivira وهناك اصطدم بالهنود، وخاب أمله، فلم يجد ذهبًا، بل وجد مجموعة من الهنود تسكن أكواخًا متواضعة في ظروف مناخية سيئة!!

توجه (دي كورونادو) نحو تيجوكس، حيث بدأ يعد لرحلة العودة، بعد أن ساءت سمعته بسبب اضطهاده للهنود، ولم يعد قادرًا على التحكم في قيادة البعثة، مما أدى إلى انهيارها عند وصولها إلى إسبانيا الجديدة، حيث خذله الجنود والمرشدون من الهنود الحمر والعبيد.. وعندما وصل إلى مكسيكو سيتي أعد تقريرًا حول أسباب فشل حملته.. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل (دي كورونادو) حاكمًا على نيوجاليسيا لعامين آخرين، حيث غادرها إلى مكسيكوسيتي ليعمل عضوًا بمجلسها.

مات (دي كورونادو) عام 1554، وهو لا يدري أن بعثته اكتشفت أجزاء شاسعة من أمريكا الشمالية، وتعتبر من أنجح الحملات الاستكشافية في ذلك الوقت.